# الخروج من مصر الجديدة

إسلام محمد عيسى

**الخروج من مصر الجديدة.. رواية**

**إسلام محمد عيسى**

**الطبعة الأولى: يوليو ٢٠١٥**

**تصميم الغلاف : كريم محمد**

**تنسيق وتدقيق لغوي : رباب الشهاوي**

**المدير العام : رباب الشهاوي**

**رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 2015/15568**

**رقم الايداع الدولي:ISBN 978-977-6534-00-1**



**Alfouad_publishing@hotmail.com**





# الخروج من مصر الجديدة

رواية لـــ

# إسلام محمد عيسى



**هذا العمل من بنات أفكار الكاتب وحده، والشخصيات فيه ليست حقيقية،**
**وأي تشابه بين الأحداث والحقيقة هو من محض الصدفة لا أكثر.**
**الناشر**

# إهداء

إلى أمي . . . لعلها ترضى

إلى أبي . . لعلني لم أخيب أمله

**إنني أعاني تناقضاً رهيباً في حياتي.**

**جسدي أرهقته الشيخوخة، ومشاعري لم تتجاوز مرحلة الطفولة، وتفكيري في عنفوان الشباب!**

**ليتني أستطيع أن أتخلص من شيخوخة الجسد وطفولة المشاعر وأحتفظ بالشباب في جسدي ومشاعري وتفكيري.**

**فالحياة ليست هي الطفولة وليست هي الشيخوخة قطعاً.**

**إن الطفولة مثل الشيخوخة.. تعثّر وطيبة، أما الشباب فهو وحده الحياة.**

**إنه الطيش والإنطلاق..**

**أريد أن أطيش، أريد أن أنطلق.. أريد أن أحيا.**

**(كامل الشناوي)**

# الفصل الأول

الأيام الأولى من شهر سبتمبر.. شهر الخريف والدراسة.. لم يحب هذا الشهر أبدا.. ليس لأنه كان إيذاناً بإنتهاء إجازة الصيف وبدء الدراسة فحسب، ولكن لأن أول همومه كانت الإذعان مجبراً على الإستيقاظ مبكراً مع شروق الشمس، حتى ولو كان الخريف هو أفضل فصول السنة في مصر.

وبالرغم من أن اليوم الجمعة، وأنه يوم محبب فُطرت عليه نفسه منذ الصغر، حيث عادة الإستيقاظ متأخرا والتلذذ بدفء الفراش.. إلا أن الاستيقاظ مبكراً في هذا اليوم مع أذان الفجر صار ديدنه منذ زمن، خاصة بعد الزواج. فهو يستيقظ مبكرا بالفعل ستة أيام أسبوعياً، فما حاجته لكسر هذا الروتين في اليوم السابع.. يوم عطلته؟

ذهب إلى الحمام للإغتسال ثم الوضوء. بعد ذلك، ذهب إلى دولاب ملابسه وتناول جلباباً أبيض نظيفاً. صفف شعره بعناية امام المرآة وتعطر، ليذهب بعد ذلك لصلاة الفجر في المسجد المجاور لمنزله.

في العادة لا يذهب للصلاة في المسجد إلا عند صلاة الجمعة، ولكنه وطّن نفسه أيضًا - منذ زمن- لصلاة فجر الجمعة في المسجد كذلك، خاصة بعد إنتظامه في العمل والزواج، فأصبح طقساً مهماً مثل بقية الطقوس الأخرى في حياته.

ليس هناك أجمل من ساعة الفجر..

إنها الساعة التي يغط فيها الجميع في النوم. ساعة إنصراف اللصوص إلى ملاجئهم والكلاب إلى أوكارها بعدما كفت عن النباح الليلي، فلا يُسمع بعد ذلك إلا خطوات الغادين إلى المساجد وتسبيحات الملائكة الخفية عبر نسيم الفجر النديّ.

أنهى صلاته وتسبيحه في المسجد ثم ذهب إلى البيت. شرع بعد ذلك يقرأ آيات من القرآن الكريم - من مصحفه الذي يحتفظ بها في الرف الأعلى من المكتبة بعيداً عن أيدي أولاده الصغار- كطقس آخر من طقوسه المقدسة في يوم الجمعة.

بعدما أنهى ترتيل ما يقرب من نصف الجزء من القرآن قام ليفتح النافذة على مصراعيها ويملأ صدره بقوة من هواء الفجر النقي منتشيا بنتاج الأشجار من الأكسجين. إنها اللحظة سريعة الزمن التي تقوم فيها الأشجار بإخراج ما قامت بصنعه طوال الليل من ثاني أكسيد الكربون وإخراج الأكسجين النقي مع ظهور أول خيط أبيض من ضوء الفجر.

هو يعلم أنها أجمل ساعة يمكن التمتع فيها بأنقى كمية من الهواء.. خاصة مع جو العاصمة الملوث، والذي يزداد يوماً بعد يوم.

لا تُدرك النعمة إلا عند غيابها أو فقدانها..

(والصّبح إذا تنفس)..

لطالما تذكر هذه الآية الكريمة كلما عب من نسيم الفجر ذي الضحكة النقية.

لقد أشرقت الشمس وقارب وقت الضحى.. إذن لم يبق إلا أن يُعد إفطاره بنفسه.

لم يعبأ حتى بإيقاظ زوجته من سُباتها، والتي لم تندس بجواره في الفراش إلا بعد منتصف الليل بفترة لا بأس بها كعادتها كل ليلة جمعة من كل أسبوع. لا بد لها من الخروج في هذه الليلة.. سواء كانت معه أو مع أبناءه أو وحدها. لا يهم.. ولكنه طقس مهم من طقوس عدة قامت بفرضها على نفسها منذ زمن طويل- تحديدا مع بداية زواجهما. وفي الغالب.. يكون بالذهاب إلى بيت والديها.

لن يحاول حتى أن يطمئن على أبنائه النائمين لئلا يوقظهم. فقط سيستمتع ببعض الهدوء والراحة اللذين لا ينالهما مع نفسه وفي بيته وفي ذلك اليوم إلا فيما ندر.. أي فقط في هذه الساعات القليلة الثمينة.

يتنقل طوال النهار كنحلة عاملة، من متجره هذا إلى البحث عن آخر يبغى إنشاؤه، إلى شراء بضائع الجملة من أماكن مختلفة. كل ذلك في شوارع مصر الجديدة خاصة والقاهرة عموماً، المختنقة بالزحام والمكتومة بالعوادم والغبار.

وعلى الرغم من أن لديه العديد من العُمّال تحت يديه بإمكانهم التخفيف من وطأة العمل وثقله عليه، إلا إنه يحب مباشرة أعماله بنفسه. فالمال السائب يعلم السرقة، وإذا لم يشرف على العمال بنفسه وهم يعملون، فلن يعملوا من الأساس.

ذهب إلى المطبخ. فتح الثلاجة ليرى ما بها.. طبق الفول الأبدي في إنتظار التسخين والإعداد. إن الحق ليقال.. بيت بلا فول هو بيت بلا طعام.

أخرج الطبق وبيضتين وطبقاً آخر من الجبن الأبيض القريش. وفي دقائق معدودة كانت أطباق الفول والجبن القريش المخلوط بزيت الزيتون والبيض المسلوق - هكذا يحبه - ورغيفين كبيرين من الخبز الشامي الأبيض قد إفترشوا المائدة الواقعة في المطبخ لزق الجدار.

إن ما نصنعه نحن بأيدينا سيظل دوما هو الأحسن والأجود والأشهى، لذا انكب على الطعام في شهية قلما يحظى بها إلا وسط أحبابه. وما إن انتهى من الأكل، حتى سمع هسيس الشاي الفائر على النار وهو يعلن عن ميعاد إكتفائه من الغليان. قام وهو يلوك بقايا الطعام في فمه، ليصب بعدها الشاي الأحمر الرائق في قدح زجاجي كبير شفاف، مستمتعاً بصوت خرير الشاي وهو ينصب في الكوب صباً، وكأنه لا يريد أن ينتهي إحساسه بالشبع قط. لم ينس إضافة ورقتين من النعناع الجاف. أخذ الكوب - مرتشفا منه في بطء وتلذذ متجهاً إلى الشرفة، مستقبلاً صفحة النهار البيضاء في هذا اليوم من أيام الخريف الأولى الدافئة المصحوبة بلسعة برد خفيفة تدغدغ الأبدان منبهة للإستعداد لمجيء الشتاء الذي يأتي متسللاً عبر الخريف.

أخذ نفساً عميقاً عند وصوله لحاجز الشرفة وكوب الشاي لم يفارق يمناه يحتسيه في بطء وتلذذ.
ربما لا يعرف أحد قط أنه يملك مقدرة فائقة ونادرة في حاسة التذوق..!
فيكفي أن يتذوق ما يصنعه الناس من طعام وشراب حتى يعرف شخصية هذا المرء، وحالته النفسية..!
ليس الأمر وهماً أو جنوناً، ولكنها فراسة وموهبة حباه الله بها.. هكذا يؤمن..
كل من يعرفه قد أخذوا عنه فكرة أنه أكول.. عاشق للطعام والشراب. وقد أضفى مظهره المائل للبدانة تأكيداً لهذا الأمر حتى أصبح يقيناً لدى الآخرين. لم يعرف أحد منهم أبداً أنه عندما يطلب طعاماً أو شراباً، فهو في حقيقة الأمر يريد إستكشاف بواطن وأحاسيس الشخص الذي أمامه وما يعتمل في نفسه حاضراً..
كان يقول لنفسه دوماً.. أحب أن آكل في هذا المطعم، ليس لأنه رخيص أو لأنه قريب من منزله، ولكن كما يقولون بلغة أهل البلد (الطباخ نفَسِه حلو).
فكل طعام وشراب مهما تساوت المقادير والمعايير ونسبة كل عنصر.. إلا أنه يختلف صنعه من شخص إلى آخر.
يبقى دوماً شيء ما يعطي للطعام والشراب نكهة ومذاقاً متميزاً وفريداً.

هناك شيء من السر الإلهي – الروح - ينسكب ويُخلط مع مقادير الطعام ومعايير الشراب فيعطي مع المذاق بصمته الخاصة التي لا يشاركه فيها شيء آخر.

كان يقول لنفسه دوماً.. أحب طعام الأمهات، وطعام أمي.. ففيه كثير من الحب.

وأحب دعوات الأصدقاء على موائد الطعام، ففيها كثير من أثير الود وعبق التقارب.

وأحب شراب من أنفحه إكرامية زائدة، فأبخرة التقدير والحبور تفوح منه، ولايُعكّره إلا غبار التزلف.

وأحب قهوة زوجتي، ففيها إشراقة ابتسامتها ونسيم عواطفها الرقيقة، فتدغدغ أحاسيسي مع كل رشفة أرشفها.

وأحب عندما يلقي طفل بلقمة في فمي، ففيها طعم البراءة الخالصة والسرور الأبدي.

يحاول جاهدا أن يتذوق الجانب السهل الهضم ويحاول– مجاهدًا- أن يتحاشى مرارة وعكارة المشاعر السلبية، والتي تزيد فيمن حوله يومًا بعد يوم والتي لم تظهر إلا مؤخراً. فأخذت حواسه تستقبل أنواعًا عديدة من المشاعر السلبية التي جاهد طويلًا ألا يشعر بها كلما تذوقها. لهذا قل كثيراً من محاولة الإستكشاف التي يمارسها بالتذوق، واكتفى بالأكل لسد جوعه فحسب.. ولكنه حرص على كيل المديح والثناء كي يحصل على المذاق الأطيب والأجود.

**مد بصره إلى الشرفة ناظرًا إلى الشارع الخالي من المارة إلا من عربة فول في أول الشارع تربض بجوار صاحبها بمريلته الرسمية والمغرفة العتيقة في يمناه وقد إلتف الناس حوله فردًا بجانب الآخر بالرغم من أنه يوم الجمعة! ولا تعرف لملتفيه فئة، فهم من جميع الطبقات..**

**سُرّ لهذا الخاطر وطرِف لأن يكون طبق الفول هو إحدى الوسائط، وتساءل في نفسه.. ما الذي سيبصِره عندما يتذوق من عربة الفول وهو بجوار الملتفين من حول العربة؟**

**إنتبه لكوب الشاي الذي فرغ من محتواه، فذهب إلى صالة المنزل مرة أخرى لإعداد بعض طقوس الجمعة الفريدة. فقام بإشعال بعض أعواد البخور ووزعها في أركان المنزل ثم أدار شريطًا من القرآن الكريم بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد وقام برفع صوت المذياع خاطرًا إليه أن يوقظ ذلك أفراد أسرته لينساب الصوت الشجي إلى داخل الحجرات.**

**ستستيقظ زوجته وتقوم لتمارس ما قام بعمله منذ قليل. لذا جلس و ذهنه خالٍ من التفكير. فما الذي سيجدّ في هذا اليوم؟**

**سرعان ما استيقظت الزوجة بالفعل بعين مفتوحة وأخرى مغلقة إلى أن إكتمل الإحساس لديها أنها في عالم اليقظة بعدما كانت في وادي السبات. ومن المكان الخالي في الفراش بجوارها والتفاتتها ناحية باب الغرفة المفتوح وصوت الشيخ يشدو في أنحاء المنزل أمكنها الاستنتاج. فقامت في هدوء لتمارس العمل الوحيد الذي لم**

يقم زوجها بعمله، وهو إيقاظ الأبناء للإلتفاف جميعًا حول مائدة الإفطار. أيقظت هذا وحاولت مع تلك في مقاومة خائرة إنتهت بذهابها إلى المذياع لتخفض من نبرات الصوت الرخيم، فحانت من الرجل إلتفاتة من خلف جريدته والتي بدأ في تصفحها منذ برهة..

ذهبت هي إلى الحمام ليرتفع بعدها رنين الهاتف الأرضي.

قام من فوره وقد عقد حاجبيه في تساؤل عمّن يكون المتصل في هذه الساعة المبكرة من النهار. ما زال هناك ما يزيد عن ثلاث ساعات حتى أذان صلاة الجمعة.

ملتقطًا السماعة في تساؤل:

- "آلو".
- "صباح الخير"، كان صوتًا نسائيًا.
- "صباح النور".
- "(فارس)؟"

دُهش من قولها للإسم دون لقب مسبوق، مما يدل على أنها تعرفه، ففتش ففي ثنايا عقله الخامل في سرعة ولم يجد بُدًا إلا للإجابة بالإيجاب:

- "أيوة!"
- "إزّيك.. أنا (نورا)".
- "(نورا)؟"
- "(نورا).. إنت نسيتني ولا لسه نايم!!"

*****

أمام مدخل العمارة الفسيح بحي مصر الجديدة، لم يُسمح لهم باللهو واللعب بعيدًا عن ذلك المكان على الرغم من وقوع الحديقة الواسعة أمام البيت مباشرة والتي يفصلها الشارع - ذي الإتجاه الواحد- عن البيت. فقط هنا أمام مدخل تلك العمارة التي لم تتجاوز الأدوار الستة. هو بثيابه التي اتسخت من جراء اللعب والركض والعبث. وهي بثوبها النظيف الذي كانت تحرص على أن تُبقيه نظيفًا طوال اليوم. لقد خطت بالطبشور على الأرض مربعات متساوية لتلعب لعبة الأولة بمفردها.. هذه اللعبة التي لم يفهمها حتى الآن. أما الثالث، فقد وقف غير بعيد عنهما يرسم على الأرض خطوطًا جديدة تصلح لأن تكون مرمى للعب البلي. نادت أمه عليهما كي يصعدا، فتركا صديقهما الثالث وصعدا سويا متشابكي الأيدي.

*****

على الرغم من الحياة الحافلة بشتى الصور والأحداث، إلا أن هذه الصورة هي الخاطر الوحيد الذي مر بذهنه عندما سمع الإسم.

- "(نورا)!!"

ضحكت (نورا) ضحكة خافتة ثم قالت:

- "كنت خايفة تكون غيرت عادتك وبطلت تصحى الجمعة بدري".

تيقظت في وجدانه مشاعر شتى عديدة من السرور والفرح والدهشة ليظهر على السطح إنسان آخر كان قد إختفى بداخله

**بدافع من عوامل السن ودوامة الحياة التي لا تُبقي أحدًا على حاله.**

**- "صوتِك إتغير كده ليه؟ وجيتي إمتى من السفر.. وإزايّ (ياسين)؟"**

**- "بخير الحمد لله. أهو لسه نايم أهو".**

**- "جيتوا إمتى؟"**

**- "جينا من حوالي أسبوع.. على بال ما رتبنا الشقة وحالنا ومحتالنا".**

**- "يا قلبك! أسبوع بحاله وما عرفش إنك هنا؟"**

**- "ما انت لو كنت بتسأل وتكلف نفسك تكلمني مكالمة ببلاش على النت ما كنتش قلت الكلام ده!"**

**- "غصب عني والله. أنا يدوب برجع البيت آكل لقمة ولو فيّا دماغ أفتح صفحة الفيس بوك، أطَمن على الكل وبعديها أخش أنام".**

**- "ماشي ياعم."**

**- "كام سنة دلوقتي؟"**

**ضحكت في جزل طفولي:**

**- "العدد في اللمون."**

**- "آه صحيح ماحنا من سن بعض".**

**- "إحنا سافرنا في ٢٠٠٨".**

**- "يااه..! معقولة عدت خمس سنين؟"**

- "شفت بقى؟!"
- "ده إنتي واحشاني جدًا."
ضحكت مرة أخرى لتقول:
- "خلاص أنا بتصل بيك عشان أسلم عليك أولًا وبقولك إحنا هنكون إن شاء الله في إنتظارك الخميس اللي جاي إنت و(منال) على الغداء إن شاء الله على العصر كدة".
- "الخميس اللي جاي؟"
- "إن شاء الله.. أنا عزمت الشلة إمبارح بالليل.. وماكانش فاضل إلا انت. قلت أخليك للآخر عشان أعرف ألقاك وأكلمك براحتي".
- "آه طبعا ما هو الحلو بيبقى آخر حاجة. إن شاء الله جاي.. بس يا ترى مين من الشلة هييجي؟"
- "شلتنا.. شلة السطوح، هو فيه حد غيرهم؟"
- "على خيرة الله".
- "خلاص ماشي..؟"
- "طب ما تنسيش إن فيه حظر تجوال".
- "آه صحيح.. إيه حكاية الحظر ده؟"
- "حكاية منيّلة بعيد عنِك.. المهم.. إنتي مش عايزة أي مساعدة؟"
- "لا.. كتر خيرك.. متنساش الميعاد بس وظبّط مواعيدك".
- "إن شاء الله.. هبقى أكلمِك بعد الصلاة عشان أبقى أسلم على (ياسين) لما يصحى".
- "آه كنت هانسى، ده دِش بارتي.. إبقى هات بس الحلو معاك".

- "هي بقت كده؟ عشان ما قلت الحلو للآخر اتدبس أنا في الحلو! يعني عزومة وأكلي معايا!"
- "هنعمل إيه؟ الموضة كدة".
- "الله يرحم أيام زمان".
- "يا ترى (منال) صاحية أسلّم عليها؟"
نظر (فارس) إلى باب الحمّام فوجد أن زوجته مازالت فيه.. فقال:
- "لأ.. لسه نايمة".

*****

خفق قلب (فارس) في سرور وهو يركن سيارته أمام البيت القديم بحي مصر الجديدة.. بيت والديه ووالديّ (نورا) ووالديّ (ياسين) ثم مسكن (نورا) و(ياسين) معًا.
لم يفت الكثير من الوقت مذ جاء هنا آخر مرة، ولكنه الحنين لمكان الطفولة والسنوات الأولى من طور المراهقة وعنفوان الشباب المتفجر..
هذه العمارة كانت ملكًا لجد (نورا) لأبيها إلى أن انتقلت بعد وفاته للورثة.. والدها وأعمامها. وكانت تقطن هي مع والديها وشقيقاتها في الدور الأخير، بينما كان (فارس) يقطن مع أسرته في الشقة المقابلة لهما.
أما (ياسين) فكان يقطن مع والديه في الدور الأول. يبعد عنهم فقط ببضعة أدوار، ولكنه – (ياسين) - كان قليلًا ما يأتي للبيت وهو صغير، إذ كان يقطن مع والدته في بيت جدته لأمه.

ثم هجر (فارس) الشقة بدوره بعدما تزوج (منال) وقام والده بتأجيرها مفروش بعقد يتجدد سنويًا بعدما بنى بيتًا آخر في التجمع الخامس له ول(فارس). إلا إن رغبة (فارس) في السكن في مصر الجديدة دفعته إلى السكن في بيت آخر كان ملكًا لوالده في مساكن الشيراتون قرب المطار.

وهاهو الآن يأتي زائراَ لا قاطنًا.

نزل (فارس) من السيارة وهو يحمل صينية البسبوسة بالقشدة التي أعدتها زوجته (منال)، والتي انهمكت بدورها في حديث في هاتفها المحمول.

لم ينس (فارس) أن يتذوق من البسبوسة قبل أن تقطَعها زوجته وتغلَفها.. وتملكه شيء من التوتر عندما لم يتذوق شيئا. فكاد أن يشعر بأن هذا نوع من اللامبالاة.

نظر إلى أعلى حيث يقطن (ياسين) و(نورا) واتسعت إبتسامته، ثم نظر من حوله إلى الحي الواسع.

من النادر أن ترى هذا التصميم في أي حي آخر، بل وفي شوارع أخرى في مصر الجديدة. الحديقة الواسعة التي تفصل بين صفين من المباني. التصميم البلجيكي الفريد.

بارون بلجيكي غريب الأطوار جاء للصحراء في أوائل القرن العشرين ليبني فيها قصراَ فريدًا هو تحفة معمارية، ويؤسس حيَا.

كلما مر (فارس) بجوار قصر البارون دي إمبان، أبطأ من سرعته قليلًا كي يشاهده. قال لأحد أصدقائه مرة إنه لا يحب من الأحياء

بجانب مصر الجديدة إلا حي وسط البلد، ليكتشف بعدها أنه يحب المعمار الأوروبي من الأساس. يمكن للفرد أن يشعر بعراقة الحي الأصيلة في منطقة الكوربة. كان يظن أن القصر قد بُني على الطراز الهندي ولكنه اكتشف بعد ذلك أنه قد بُني على طراز أحد المعابد الكمبودية والهندوسية الهندية معًا.

لحُسن الحظ، لا يمر شريط المترو- والذي أقامته شركة فرنسية - في هذا الشارع، مما سمح للحديقة بأن تكون واحة للراحة في أوقات الصيف.

ولكن هذا الأمر قد تغير بعدما أصبح جهاز تكييف الهواء من ضروريات المنزل بعدما كان من الكماليات. فأصبح من النادر أن تجد زوجين في الحديقة- ما لم يكونا شيخين أو من السكان القدامى في الحي العريق.

رفع (فارس) رأسه ونظر إلى شرفات المباني وقد تعلق بكل شرفة منها جهاز تكييف!

حانت منه إلتفاتة إلى الشجرة العتيقة - أو ما تبقى منها – الرابضة أمام العمارة. كان دائم التردد على تلك الشجرة بشكل غريب منذ كان طفلًا. ليس بها ثمار ولا كان يرغب في الاستظلال تحتها، وإن تمنى دومًا وهو صغير بأن يبني على فروعها كوخ خشبي صغير.

لم يعرف أنه كان يحب في تلك الشجرة الحرية والتفرد والرسوخ والإستقلال والصمود أمام تقلبات الطقس. أشياء يعرفها ولم

يعشها- هكذا يظن- ولا يحسن التعبير عنها، ولكنها كانت تتصارع بداخله كلما رآها وتتحين معها أية فرصة للإنطلاق.
نظر مرة أخرى إلى الشارع والذي تم توسعته عدة مرات..
فبعدما كانت السيارات تركن في الشوارع مقابلة للرصيف، أصبحت تركن موازية له.. إلا أن هذا لم يحد من الزحام الذي معه من المستحيل أن يجد المرء مكانًا لسيارته، فأصبحت السيارات تركن في صفين موازيين للرصيف.
حتى عواميد الإضاءة تغيرت مصابيحها من النور الأبيض الهاديء إلى الضوء الأصفر الثائر.

انتزعته (منال) من خواطره الشاردة بعدما أنهت مكالمتها التليفونية قائلة:
- "إنت مستني إيه؟"
فقال لها منتبهًا من شروده:
- "مستنيكي".
وما هي إلا بضع خطوات حتى كانا أمام باب العمارة الحديدي!
توقف (فارس) هنيهة أمام الباب متسائلًا: "الباب ده ركب إمتى؟"
كان مدخل العبارة التي بُنيت منذ أكثر من أربعين عامًا بلا أبواب كبقية العمارات في المنطقة. وكان المدخل 'سداح مداح' على الشارع، فما الذي تغيّر الآن؟
كان يعرف الإجابة في دخيلة نفسه ولكنه آثر الإمتعاض.

بينما كانت بجانب البوابة (أسماء) سكان العمارة وقد تراصت على لوحة الدكتافون.

لم تمنح (منال) زوجها الفرصة لأي كلام، فضغطت الزر بجوار اسم (ياسين الفاتح)، فجاء من خلاله صوت (نورا):

- "أهلًا وسهلًا. حمدا لله على السلامة.. ياريت تسبقوني على السطوح. أنا طالعالكم حالًا".

ثم فُتِح الباب كهربائيًا.. وقد استمر سيل الخواطر مندفعًا في عقل (فارس).

تذكر عندما كان (ياسين) ينادي عليه كي ينزل له.

هذه شقة مدام (ماري). كان المرء يشم دائمًا رائحة عطنة من أمام عتبة شقتها. أما السبب.. فكانت القطط. فدائمًا مايجد المرء أمام شقتها طبقًا واسعًا وقد فتت مدام ماري فيه قطعًا من الخبز البائت منقوعة في اللبن. أما الآن بعد بروز هذا البوابة الحديدية كساتر حربي، كيف استمر الأمر؟!

ماهي إلا دقائق ثلاث أو أقل حتى دلفا إلى السطح الواسع، أو الذي كان. فقد كانت أطباق الأقمار الصناعية قد افترشت مساحة واسعة ابتلعت معها ثلاثة أرباع السطح. يذكر هذا الأمر جيدًا، فقد حضر بدايته.

وجدا غرفة السطح بابها مفتوح وقد تراصت أمامها بضع مقاعد وثلاث موائد بلاستيكية صغيرة.

رن هاتف (منال) المحمول مرة أخرى فدخلت الغرفة المفتوحة لتجلس على الأرض على مراتب قطنية وثيرة تراصت بحذاء جدران الغرفة في قعدة عربية تُغري بالجلوس.

وضع (فارس) صينية البسبوسة على إحدى الموائد البلاستيكية في شرود وترك زوجته ووقف أمام الغرفة.

لقد كانا أول الواصلين.

في الحقيقة.. لقد أراد بهذا أن يكون مستقبلًا لأصدقائه حتى يتسنى له رؤيتهم ومقابلتهم واحدًا واحدًا.

غرفة السطح.. يا غرفة السطح.

كم شهدتِ من أحداثٍ جسام وأعمار متفاوتة.

جسيمة.. ليس لأنها كبيرة الفعل عظيمة الأثر، ولكن لأنها شهدت أحداث الفعل الممنوع، ومحاولة تقليد الكبار مع كل مرحلة عُمرية. هذا هو ما منحكِ تلك القداسة.

في زمن الطفولة البعيد.. نتسلل إلى حيث منازل الكبار في أوقات تجمعهم المتباعدة في غرفة السطح.

عشة الدجاج وبيضها الذي كان يمثل لنا غنيمة وأي غنيمة. لقد تهدمت الآن، من قبل حتى ظهور ما يسمى بوباء انفلونزا الطيور.

الركض في باحة السطح الفسيحة- سابقا- ولعبة الإستغماية، على الرغم من قلة أماكنك وزواياك التي تصلح للإختباء فيها.

كم كانت دنيانا صغيرة!

مرحلة المراهقة.. ومحاولة تقليد الكبار في إقتحام جريء. أنفاس الدخان من سيجارة واحدة يقتسمها إثنان أو ثلاثة.
محاولات متعثرة لمداعبة فتيات في طور النضوج تحت مصابيح النجوم الخافتة وفي أكثر أركانك ظلامًا.
حلقات الدخان المسروقة والقبلات المختلسة.. ما أشهاها..!
وهاهو الآن في عنفوان مرحلة الرجولة، في ركضات سريعة ووثبات متتالية من مرحلة المراهقة فالشباب فالكهولة.. وها قد أتى اليوم، بحثًا عن نشوات قديمة ودفء صداقة مفقود.
انتزعه صوت (نورا) الباسم من خلفه قائلًا في حيوية متدفقة:
- "السلام عليكم".

*****

كعادته.. استيقظ (فارس) مبكرًا يوم الجمعة. ولكنه على غير عادته أيضًا، ظل في فراشه متجاهلًا طقوسه الأسبوعية. لم يُصل الفجر في المسجد، وإنما في غرفته ليعود بعدها إلى فراشه.
أسبوع كامل قد مرّ منذ دعوة (نورا).
كان قد وطّن نفسه يومها على الكثير من ودّ الأصدقاء واسترجاع ذكريات الماضي القريب وأشياء أخرى عديدة.
لكن مع تدافع الأصدقاء واحد تلو الآخر لم يلْق شيئا من ذلك.
فقط.. مشاعر متناقضة من التزلف والابتسامات المصطنعة.
وتحفزا!
الكثير من التحفز المشوّب بالتوتر قد ساد اللقاء.

حتى الطعام.. ذاقه كله فلم يجد به أي مشاعر إيجابية قط. إلا إذا اعتبرنا أن الرغبة في التقدير والمديح مشاعر إيجابية.

كانت (نورا) تقريباً الوحيدة التي مازالت تحتفظ ببعض حيوتها ورونقها. وحمدًا لله.. لم يلق تقريباً شيئًا سلبياً من (ياسين).. ف(ياسين) كما هو لم يتغير قط.

(نورا).. الجارة القديمة والصديقة الصدوقة والأخت من الرضاع.

و(ياسين).. الجار القديم وصديق الطفولة.

كانت الدعوة قد شملت أيضًا (عزة) و(عمرو)، و(أسماء) و(أيمن).

لم يلتقط ذهنه من هذا اليوم سوى صورة الشجرة العتيقة والبوابة الحديدية وغرفة السطح.

تناول (فارس) هاتفه المحمول من على الكومود بجانب السرير.. بقيت نصف ساعة على صلاة الجمعة. عبث في أزرار المحمول ليتصل بأحد الأرقام. كان صديقه (أحمد نزار).

- "ألو.. إزيك ياباشا؟"

- "(فارس) باشا.. إزي صحة معاليك؟ عاش من سمع صوتك".

- "ياترى أقدر أشوفك إزاي النهاردة؟"

- "بإنك تعزمني على القهوة".

- "غالي والطلب رخيص. يا ترى فاضي بعد الصلاة؟"

- "ولو مش فاضي أفضّيلك نفسي.. تحب نتقابل بعد الصلاة على طول في قهوة التفكشي؟"

**- "لا لا مليش مزاج أقعد برة على قهاوي. إسمع.. أنا مراتي النهاردة جاي لها أهلها، والقعدة كلها حريم. إيه رأيك أجيب معايا أكل ونخليها غداء أحسن؟"**

**- "ياريت.. يكون أحسن والله".**

**- "خلاص ماشي.. نتقابل بعد الصلاة إن شاء الله.سلام".**

**- "سلام".**

*****

(أحمد نزار) الوحيد تقريباَ من خارج الشلة الذي حافظ (فارس) على صداقته. تعرف عليه في درس خصوصي في مادة التاريخ في الثانوية العامة وأصبحا من أقرب الأصدقاء منذ ذلك الحين. من النادر أن تجد طالباَ يعشق التاريخ، خصوصًا في الثانوية العامة حيث يتم إستبدالها بمادة الإقتصاد أو الفلسفة.

جمعهما في البداية حب التاريخ والقراءة في الأساس. كان (فارس) يظن نفسه وقتها دودة قراءة، إلى أن تبخر هذا الرأي تدريجياَ حتى تلاشى بعدما تعرف إلى (أحمد نزار).

بعد زواجه، تناقصت قدرته ورغبته تدريجياَ في القراءة. أعباء الحياة التي لا تنتهي لا تترك للمرء فسحة من الوقت للقراءة ولا لأي شيء آخر، إلا أن الأمر لم يختف تمامًا من حياته، بل تناقص فقط وحمد الله على ذلك. وقد حافظت صداقته ب(أحمد) - أو كما يدعوه.. (نزار) - على الإستمرار في هذا الأمر.

أما (أحمد نزار) فحافظ على هذا الأمر بشكل غريب ملحوظ. بداية بالتحاقه بكلية الآداب، وتوسعه في مجالات القراءة المتنوعة. فقد إتخذ من هواية القراءة والكتابة مهنة له، إلى أن أصبح كاتباَ للعديد من المقالات في الصحف الورقية وعلى صفحات الإنترنت، وأصبحت له صفحات أسبوعية تتفرغ لمقالاته عن الأدب والتاريخ والفنون والدين، ولم يتطرق إلى السياسة إلا لمامًا.

هناك من الكُتّاب من هو مثل النحلة.. تنتقل من زهرة إلى زهرة ومن بستان إلى بستان إلى أن تفرز عسلًا، وهناك من الكتّاب من زاده الطعام الفاسد، فلا ترى منه إلا آثار القيء والإسهال!

وقد كان (نزار) يفرز عسلًا بإستمرار.

يمتلك إلى جانب ذلك مكتبا للطباعة وخدمات الكمبيوتر.. فالحياة قاسية والكتابة لا تعطي خبزاً للكفاف طوال الوقت.

كان (نزار) هو المرجع الوحيد ل(فارس) في عرض مشاكله أمامه وللفضفضة والبوح بكل ما يعتمل به، بلا تردد أو قلق.

ما أن يريد أن يُفضي بكلام كثير يعتمل في صدره، حتى تقفز صورته أمام عينيه، بقامته النحيلة ونظارته التي لا تفارق وجهه، وشعره الذي لا تعرف متى يصففه، على حسب حالته المزاجية. فتارة يحلقه كله، وتارة ينسى لحيته، وتارة يشذبها، وتارة يطلق شاربه. كل هيئة تنبع على حسب حالته المزاجية والنفسية.

هو يتكلم، و(نزار) يستمع..

ولم يسبب هذا ضيقًا ل(نزار)، فقد كان يبرر دومًا بأنه يتكلم بما يريد ولكن على الأوراق وأن إستماعه للآخرين مرتبط بعمله.

ودائمًا ما يذكر (فارس) هذا الأمر للآخرين.. بأن الناس دائمًا ما يقولون إنه لا بد للمرء حتمًا من صديق أو قريب شرطي ومحام وطبيب. أما هو فيقول.. لا غنى للمرء عن رجل مثل (نزار).

فنحن جميعًا نحتاج لبعضنا البعض كي نعوض ما ينقصنا لكي تستمر الحياة.. وحيث أننا شعب لا نفكر من الأساس، أصبحنا

بحاجة لأشخاص مثل (نزار) يفكرون لنا ويحللون ويقدمون الحلول.. حتى لو استأثرنا بآراءنا الشخصية الخاطئة.. على أساس أن رأينا الشخصي دومًا هو الأصوب والأحكم والأكثر خبرة!
كان يذكر عندما أخذ (نزار) لأول مرة من يده إلى كليته في السنة الأولى ليريه فتاة وقع في غرامها. كان هو هذا ديدنه - (فارس) - وقتها. يقع في الحب كل فترة ثم يفتر.
"شغل مراهقين"، كما يسميه الآن!
أشار إليه من بعيد للفتاة المنشودة وأخبره أنه لا يعرف كيف ومتى يحدثها.
نظر (نزار) إلى الفتاة مليًا وقتها ثم قال له كمن يفكر بصوت عال:
- "صاحبتك لا بسة جيبة واسعة على بلوزة محزقة على جسمها. قول لي.. هي متعودة تلبس بنطلونات محزقة دايمًا؟"
إندهش (فارس) وقتها من الملاحظة الغريبة وفكر لثوان ثم قال له:
- "أيوه!عرفت إزاي؟"
- "يبقى يستحسن ما تكلمهاش النهاردة، لأنها هتلاقيها متوترة حبتين".
- "فعلًا.. أنا إمبارح حاولت أكلمها بس هي ما عبرتنيش.. بس عرفت إزاي إنها متوترة؟"

- "يا بني يا حبيبي.. الستات عندهم موضوع رزل كدة بييجي مرة في الشهر، وصاحبتك بتلبس بنطلونات محزقة كل يوم، وجيبة يومين في الشهر. إفهمها بقى".

ثم أكمل:

- "هاقول لك تقول لها إيه وإزاي بس إبقى كلمها لما تكون لابسة البنطلون".

ومن ساعتها لم يستغن (فارس) عن رأي (أحمد نزار) قط بعد ملاحظته الفجة التي بهتته!

كان يرى أيضًا أن (نزار) قد إحتفظ بميزتين في علاقتهما سويًا..

ميزة الصديق وميزة المفكر..

وفي كلتا الحالتين.. لا غنى عن رأيه قط.

وها هو الآن بعد أسبوع من دعوة (نورا) الفاترة لم يجد سوى (نزار) ليبث إليه ما أهمه.

إنه على الأقل الشخص الوحيد الذي يعرف موضوع التذوق الخاص به ويتفهمه جيدًا على أنه ليس عبثًا أو جنونًا. فمن غيره يمكن أن يدرك هذا الأمر ويعقله إلا هو؟

قليل الإحتكاك بالناس، مستمع ممتاز وقليل الكلام إلا إذا طُلِب منه إبداء الرأي أو إذا كان الموضوع يستحق.. فيتدفق بالكلام كشلال ماء ينصب من أعلى جبل.

كما ذكرنا، كثير القراءة.. قليل الإحتكاك بالناس، لذا تجده يغلب على حديثه العامية المختلطة بالعربية الفصحى.. على غرار (أهلا

بك يا صديقي) (هذا أمر اعتيادي) (فلان وغد بمعنى الكلمة) (هذا شيء بديهي)..
يترك لمحدثه الكلام ويُعلّق في بعض الأحيان بكلمات مأثورة لكُتاب أو شعراء أو مشاهير أو حتى مستشهدًا بآيات قرآنية وأحاديث نبوية.
أوقف (فارس) سيارته أمام الشارع المقابل لسور الكلية الحربية بمصر الجديدة حيث يقطن (أحمد نزار).
لطالما أحب هذه البقعة.. قريبة من إستاد الكلية الحربية ونادي الشمس وسينما فندق السلام وملاهي السندباد ومترو مصر الجديدة.
تزوج (نزار) من إحدى زميلاته بالكلية بعد إنتهاء الدراسة مباشرة لعام واحد ثم أتى الطلاق.. لم تتحمل زوجته حياته الموزعة بين القراءة والكتابة، فطلبت الطلاق فمنحها إياه في هدوء.
لم يحزن (فارس) لإنفصال صديقه عن زوجته.. فلم يحب مطلقته أبدًا.. وحتى هو.. عزف عن الزواج بعدها وإندمج في عمله حتى النخاع، وأصبح جُلّ وقته في شقته بعيدًا عن أهله. واعتبر فترة زواجه تجربة حياتية ثرية! فعلى الأقل عرف بالتجربة الحية شعور المتزوج وشعور المُطّلق!
حمل (فارس) كيس الطعام الذي أعدته (منال) له ولصديقه وصعد المبنى وطرق الباب.. دخل ليستقبله (نزار) بملء ذراعيه. فهذه عادته أو عادتهما سويًا عندما يطول الغياب بينهما. وقد

طال هذه المرة فعلًا.. شهرين كاملين لم يره (فارس) ولم يحدثه سوى مرة أو مرتين.
أخذ نزار كيس الطعام بسرعة وقربه من أنفه:
ـ "آااه.. كفتة.. حبيبي!"
ـ "ومكرونة وسلطة خضرة وشوربة كريمة".
ـ "يااااه..ده أنت يا إما مراتك متوصية بينا أو مش عايزاك تقعد في البيت النهارده مع أهلها".
ضحك (فارس) لدعابته وقال:
ـ "إن جيت للحق أنا اللي عايز أخرج من البيت.. زهقت من القعدة ومن الشغل".
أخرج (نزار) الطعام ووزعه على المائدة في سرعة.. ثم قال:
ـ "وخارج من بيت لبيت! على وشك كلام كتير.. أروح أجيب الأطباق وناكل الأول وبعدين تحكيلي على رواقة".
على الرغم من جسد (نزار) النحيف، إلا أنه يتمتع بشهية فائقة للطعام على نحو يجعل من يتناول الطعام معه يتساءل.. أين تذهب هذه الكميات من الطعام أو هل هناك متسع للمزيد؟
وماهي إلا دقائق حتى كانا قد أنهيا طعامهما ثم نهضا من على المائدة بعدما قضيا الوقت في الأكل والكلام.. (فارس) في الحديث عن أحواله العادية في البيت والعمل و(نزار) في الإثناء والمديح على طعام (منال) زوجة (فارس).

جلس (فارس) على أريكته المفضلة في الصالة بينما ذهب نزار لإعداد الشاي.

كانت جدران الصالة في شقة (نزار) شبه مغطاة بالكتب من أرضها إلى سقفها.

إلتقط بعضًا من الكتب من على الأريكة ليجد كتبًا ليس لها علاقة ببعضها البعض.

كتاب عن الرياضيات لياكوف بيريلمان وكتاب الفوائد لإبن قيم الجوزية وكتاب بلغة إنجليزية عن الطهي وبعض قصص رجل المستحيل وما وراء الطبيعة..

أما على المنضدة.. فقد تبعثرت بعض أعداد القصص المصورة.

فما الغرض المشترك لكل هذه الكتب المتناقضة إلا حشو العقول؟

غاب (نزار) قليلًا ليعود مرة أخرى وقد حمل صينية صغيرة عليها كوبين كبيرين من النسكافيه قائلًا:

- "معلش الشاي خلص ونسيت أجيب غيره".

- "شغال".

وضع الصينية على المنضدة ثم استراح على المقعد المقابل له وقال:

- "حسنًا يا صديقي.. هاتِ ماعندك".

إعتدل (فارس) في مجلسه بعدما تناول كوب النسكافيه بيمناه.. وبدأ السرد وكأنه في مهمة رسمية.

أخبره عن الأمر منذ بداية مكالمة (نورا) الهاتفية وحتى الآن.

عن فرحته بمعرفة أنه سيراها بعد طول غياب، وأنه سيلقى الأصدقاء عندها.

هي و(ياسين)، و(عمرو) و(عزة)، و(أسماء) و(أيمن).. فرح بأنه سيلقاهم جميعًا. أصدقاء الشباب الغض وزملاء الدراسة الجامعية ورفقاء السرور.

كانت (نورا) و(ياسين) مسافرين بالخارج. أما الباقي.. (عمرو) و(عزة) و(أسماء) و(أيمن) موجودين بالفعل، بل وبالقرُب منه أيضًا. ولكن مشاغل الحياة حالت دون اللقاءات. فقط إكتفوا بالتحيات والسلامات في المناسبات والأعياد أو كلما سنحت الفرص.

ثم أخبره عن خيبة الأمل التي أخذت تتزايد تدريجياَ كلما حضر أحدهم وكلما مر الوقت.

كان الفتور والابتسامات المرهقة المتكلفة هي الغالبة على إجتماعهم مع بعضهم البعض.

تحياتهم كانت خالية من الحرارة، وحضورهم كان خالياَ من الدفء.

طعامهم لم يجد فيه أي لذة، أو أية مشاعر حميمة..

(أسماء) غلب على طعامها الكِبر.

أما (عزة) فمن الواضح أنها قد اشترت الطعام من الخارج أو أن أحدًا قد قام بطهوه لها، مما يدل على اللامبالاة.

حتى (نورا).. طعامها كان مبعثراً لا تعرف له طعمًا وقد شابه الإرهاق..وقد أوهم نفسه أنها مازالت كما هي ولم تتغير كثيراً.

لأول مرة.. يغلبه الطابع السلبي، ويتذوقه رغمًا عنه.
ثم بدأوا الكلام في السياسة.
من المستحيل ألا تجد طفلًا في مصر الآن لا يتكلم في السياسة.
ثورة ٢٥ يناير والإنتخابات وحق الشهداء الضائع والمحاكمات العبثية للمسئولين من النظام السابق والإخوان وغير الإخوان والسلفيين وقادة الجيش والحكومات الهزلية.. كلام فارغ ومستفز، أغلبه إستعراض كل فرد ما سمعه وشاهده من معلومات مبعثرة لا رابط بينها إلا الكذب والبهتان.
وسرعان ما انفصل الرجال عن النساء بحديثهم عن السياسة ليبدأوا حديثًا عن السيارات والهواتف المحمولة.
أحس (فارس) وقتها أنه غريب.. وتصنع مرات عدة بأنه يتحدث في الهاتف.. إلى أن جاء الوقت كي يعلن عن إنصرافه ليكون أول الراحلين من أجل الحظر الليلي بعدما كان أول الحاضرين.
ثم قال إن ما خفف عليه وطأة الدعوة الثقيلة أنهم كانوا راغبين في الجلوس معه- هكذا يظن- خاصة (نورا) و(ياسين). ولكنه انصرف على وعد بأنه سيلقاهم عن قريب بإذن الله.
أنهى (فارس) كلامه وفضفض بكل ما يجيش في صدره.. بينما ظل (نزار) صامتًا لم يتفوه بحرف واحد كعادته كلما بدأ (فارس) الأخذ بدفة الحديث. وانتظر.
نظر (نزار) إلي (فارس) من خلف نظارته ليقول:
- "بمناسبة الطعم.. أيه رأيك في النسكافيه بتاعي؟"

- "كويس".

فقال مبتسمًا:

- "مش قصدي".

- "آه.. الحقيقة مش عارف.. فيه ناس بتعطّل عندهم وماعرفش أفسر.. لكن على العموم كان فيه تقل كبير".

- "ودي حاجة وحشة؟"

- "مش بالضبط.. لكنها حاجة تقيلة. كأنك قريت كتاب من ٥٠٠ صفحة مرة واحدة".

- "يبقى مش وحش".

نهض من مكانه ليأخذ أكواب النسكافيه ويحملها على الصينية ليقول:

- "بالحق.. معاك صورة لأصحابك على موبايلك؟"

قال (فارس):

- "لأ..بس معايا صورنا القديمة على صفحتي على الفيس بوك.. أما أقوم أوريهالك".

ثم قام إلى جهاز الكومبيوتر الخاص ب(نزار) بينما دخل (نزار) للمطبخ بصينية الأكواب. كان (نزار) يعرف كل شي عن أصدقاء (فارس) تقريبًا. فمنذ تعرّف عليه، لم تكد تمر مرة يلقاه فيها دون أن يحكي له كل شيء عنه وعن أصدقائه الذين لم يراهم في حياته سوى مرة واحدة.. يوم عقد (فارس) قِرانه على (منال).

عاد (نزار) للصالة ليجد (فارس) قد فتح الكومبيوتر النقال (اللاب توب) الخاص به ثم ناداه قائلًا:

- "أهي الصور".

ست صور للجميع في أماكن مختلفة.

ل(فارس) و(نورا) ول(عمرو) و(عزة) و(أسماء) و(أيمن) و(أحمد عبد الكريم). لم يكن (فارس) قد ارتبط ب(منال) بعد ولم يكن (ياسين) قد ارتبط ب(نورا) وقتها.

قلب (نزار) الصور بعض الوقت ثم قال:

- "اللي في الصور دول هم اللي حضروا العزومة كلهم؟"

رد (فارس) قائلًا:

- "آه.. دي (عزة) ودي (أسماء) وده (عمرو) و(أيمن).. آه ودي صورة (ريهام). كلهم كانوا موجدين ماعدا (منال) مراتي.. و(أحمد عبد الكريم) عشان مسافر، و(ريهام) اللي انقطعت أخبارها بعد كده".

قلب (نزار) الصور مرة أخرى وفكر قليلًا ثم قال:

- "بس فيه كده واحد ناقص ماحضرش العزومة".

عقد (فارس) حاجبيه ناظراً لشاشة الكومبيوتر ليشاهد الصور مرة أخرى ويقول:

- "قصدك مين؟! (أحمد عبد الكريم) ولا (ريهام)؟"

هز (نزار) رأسه نفيًا ليقول:

- "قصدي الشخص اللي صوركم كلكم الصور دي وما اتصورش معاكم".

وهنا ارتفعا حاجبا (فارس) إلى أقصى درجة، وقال بوجه أقرب للذهول:

- "وعرفت إزاي إن فيه شخص زيادة كان معانا وإنه مش شخص عادي طلبنا منه إنه يصورنا؟"

أشار (نزار) إلى الشاشة قائلًا وهو يقلب الصور مرة أخرى مشيراً بسبابته:

- "واضح جدًا من الصور إنها إلتقطت بواسطة شخص واحد على الرغم من إختلاف الأماكن.. ستجد الصور كلها منخفضة من الأعلى عند الرؤوس مما يدل أن المصور واحد".

كان على حق.. تساءل (فارس) في نفسه.. كيف نسي هذا الأمر؟! بل كيف نسي هذا الشخص؟!

جلس في مكان متململًا وقد إنعقد لسانه، فقد أثار ظهور هذا الشخص عاصفة من الغبار بعدما كان مدفونًا في أعماق عقله لزمن طويل. حتى الصور التي يضعها على صفحته كان قد إلتقطها لهم بكاميرته الخاصة.

انتزعه (نزار) بقوله:

- "ما قلتيليش.. كلامي صح؟"

هز (فارس) رأسه في بطء قائلًا:

- "صح.. صح جدًا".

- "وده يبقى مين؟"

إعتدل في مقعده قائلًا:

-" (يحيى).. (يحيى شرف الدين)".

- "غريبة..عمرك ماحكتلي عنه!"

- "فعلًا.. مع إني دايمًا كنت بحكيله عنك- أصله كان بيفكرني بيك، ولأنه كان تقريبًا معانا أغلب الوقت".

- "بس واضح إني مش بافكرك بيه.. هو كان بيدرس إيه؟"

- "صيدلة".

- "يعني ممكن يكون صاحب (نورا) أو (عمرو) و(عزة) أو (أسماء)".

- "الحقيقة مش متذكر".

- "طيب قابلته أول مرة إمتى وفين؟"

- "برضه مش فاكر".

- "يا ترى هو هنا في مصر ولا مسافر؟"

- "مش عارف".

- "طب حي ولا ميت؟"

هز (فارس) رأسه بأنه لا يعرف.

- "لا.. ده انت حكايتك حكاية.. وجاي زعلان قوي عشان صحابك معادوش زي زمان؟! وآدي واحد أهو.. كان معاكم ومش عارف عنه أي حاجة".

**ثم رن جرس الهاتف المحمول لدى (نزار) فذهب للرد عليه. كان من عمله، مما أتاح الفرصة ل(فارس) كي يفكر بهدوء.**

*****

(يحيى شرف الدين)

إذا طُلِب منه-(فارس)- أن يذكر شخصًا ما كان له من الأثر في حياته، لكان هو في المقدمة. أما ما يحز في جنبات نفسه كالسكين الثلم هو كيف نسيه أو تناساه بهذا الشكل؟! ولماذا أتى التجاهل؟! أين ذهب!؟

إنه يستطيع الآن أن يذكر متى وأين التقى بكل أصدقائه.. إلا هو.. لا يذكر إلا أنه كان في وسط المجموعة.. مجموعة الأصدقاء.. تمامًا مثلما يشب المرء فيجد هذين والديه وهؤلاء أعمامه وأخواله.. إلخ. فقط يذكر تزامن وجوده في وسطهم مع السنة الأولى في الدراسة الجامعية.

دخل على صفحة الفيس بوك الخاصة به وبحث في خانات الأصدقاء وغيرها عن اسم (يحيى شرف الدين)، ولكن كانت النتيجة سلبية. جرب كتابة الاسم عدة مرات بالإنجليزية ثم بالعربية ولكن كانت النتيجة واحدة. لا أثر له.

أنهى (نزار) مكالمته الهاتفية والتفت إلى (فارس) قائلًا:

- "هه.. إفتكرت حاجة؟"

هز (فارس) رأسه نفيًا فقال (نزار):

- "طيب تفتكر حد من أصدقائك ممكن يكون عارف عنه حاجة؟"

- "ما أعتقدش.. وإلا كانت (نورا) عزمته أو حد من المجموعة كان سأل عنه.. بس لازم أسأل عنه.. لازم".

- "عندك صورة ليه؟"

- "ما أفتكرش".

- "مش فاكر، مش عارف!! واضح كمان إنه ما كنش مجرد زميل وإنه له تأثير عليك.. لأنك تنحت فجأة لما جت سيرته".

- "أنا تنحت لأني نسيته تمامًا. وفعلًا.. (يحيى) كان شخص غريب جدًا ومش عادي.. ويمكن ده اللي كان مقربني منه".

- "طب آخر مرة شفته كان إمتى؟"

فكر (فارس) قليلًا ثم قال:

- "تقريبَا قبل كتب كتابي على (منال)..آه.. إفتكرت.. هو كان بيقول إنه اتجند في الجيش وصعب إنه ييجي.. ومن بعدها إتلهيت في حياتي. حاولت إتصل بيه بعد كدة لكن الظاهر غيّر نمرته.. بس إزاي أنساه!؟"

- "هو عمّلك إيه قبل كده؟"

إعتدل (فارس) في مجلسه ليقول:

- "هو الوحيد غيرك اللي كان يعرف مسألة الدوقان دي، وتقريبَا لفت نظري ليها. ولما عرف برضه إني بعرف أرسم- من نفسه- في عيد ميلادي اشترى لي كراسة رسم اسكتش وأقلام فحم عشان أنمي موهبتي".

- "يعني هو اللي أصّل فيك المواهب دي".

- "الحق يتقال هو بعد ربنا سبحانه وتعالى".

فكر (نزار) قليلًا ثم قام ليجلس على المنضدة أمام (فارس) ثم مال عليه وقال:

- "إسمع.. إيه رأيك تضرب عصفورين بحجر؟"
- "قصدك إيه؟"
- "تشوف صحابك وتسأل على (يحيى)".
نظر (فارس) إليه في تساؤل ليقول (نزار)بعدها:
- "إنت مش عايز تعرف صحابك إتغيروا ليه؟ ونفسك تلاقي فيهم اللي كان موجود زمان؟ خلاص.. روح لكل شخص على حدة ومعاك هدية. أصل الشيء لما بيعطل، لازم تفكه قدامك حتة حتة.. وانتو مجموعة أصدقاء. من الصعب إنك تعرف كل شخص على حقيقته، إلا إذا كان على طبيعته. والإنسان بيكون على طبيعته لما بيفضفض للّي قدّامه لما يكونوا لوحدهم.. زي أنا وأنت هنا".
- "كلامك معقول.. وطب وأنا هلاحق هدايا منين إن شاء الله؟! ولا هاخد لكل واحد كيس جوافة ولا برتقان معايا؟"
صمت (نزار) للحظة ثم قال:
- "محدش طلب منك قبل كدة إنك ترسمه؟"
- "آه فيه.. (نورا) لأنها عارفة موضوع الرسم ده و(ياسين). و(أسماء) كمان. ياما طلبت مني أرسمها".
- "وهو فيه أحسن من كدة هدية؟ إرضاء الغرور البشري غاية.. إتصل ب(نورا) وقل لها إنك عايز تزورها وترسمها، وهناك تقول لها إنك عاوز ترسم كل أصحابك كل واحد على حده.. والباقي هيبقى سهل بعد كدة. المهم في الآخر تبقى تحكيلي عن كل واحد.. ومعاك لوحته. أهو تخرج من الجو اللي إنت فيه وتشوف صحابك

ونعرف سوا إيه اللي إتغير.. وتعرف ليه صاحبكم ده ما جاش على بالكم في يوم العزومة حتى".

رجع (فارس) بظهره إلى الوراء ونظر للسقف وهو يزن كلام (نزار) في رأسه.

إن حقيقة علاقتنا بالآخرين قائمة إما على المصالح المتبادلة، أو على وجود هوايات ورغبات مشتركة.

والزمن القائم على إستمرار هذه العلاقات، متوقف على مدى إستمرارية هذه المصالح أو مدى تعلقنا بهذه الرغبات.

لم يترك (فارس) نفسه عرضة للخواطر والأفكار، فقال بعدها في بطء:

- "معقول برضه.. معقول".

** ** **



# الفصل الثانـي

## (نورا محمد بسيوني)

لم يُضّيع (فارس) أي وقت بمجرد أن ترك صديقه (أحمد نزار). فبمجرد أن دلف إلى منزله حتى قام بالإتصال تليفونياَ ب(نورا) وأخبرها برغبته في مقابلتها في منزلها للحديث معها وبالمرة يقوم برسمها.. فالكراسة موجودة وعلبة الأقلام جاهزة للعمل. فرحبت بدورها بالأمر على الفور. وها هو الآن في اليوم التالي، يركن سيارته أمام منزلها بعد أن قام بالدوران حول منزلها مرتين على أمل العثور على مساحة تكفي لركن سيارته. وبعد تعب، أوقفها بجوار الحديقة في أول الشارع بعد أن أُخُلي مكان. وجد باب العمارة غير موصد، فصعد السلالم، رن الجرس وفُتِح الباب.. وهاهي (نورا).. مشرقة كعادتها..

- "السلام عليكم".

بإبتسامة واسعة صافحته وهي تقبل وجنتيه الجافتين بشفتيها الرطبتين:

- "وعليكم السلام.. عامل إيه؟"

- "الحمد لله".

دخل المنزل إلى الصالة ثم إلى المقعد الوثير الرابض بجوار باب الشرفة حيث ضوء شمس الظهيرة.

- "أمّال فين (ياسين)؟

- "في الشغل ما أنت عارف.. لسه راجعين من السفر ومش عاتق نفسه. على العموم أنا قلتله إنك هتيجي.. المهم تشرب إيه؟"

- "اللي تجيبيه مادام من إيديكي".

- "من عينيا".

- "مين إيديكيييي!"

ضحكت لدعابته ثم دخلت المطبخ.

(نورا محمد بسيوني)

بيضاء البشرة، جميلة الملامح إلى حد كبير، كستنائية الشعر، ذات ضحكة مشرقة وحضور لافت للأنظار. متوسطة الطول أميل إلى القصر، بضة الجسد. ذات جاذبية أشبه بنجمات السينما. جمعت بين جمال الشكل والروح، فتولد لديها جمالًا ثالثًا آسرًا.

هذه هي المواصفات الشكلية..

هن شقيقات أربع، هي أكبرهن. لذا تعودت على ممارسة الأمومة منذ الصغر. فلم تمارس لعبة الأمومة على الدُّمى إلا قليلًا كعادة قريناتها في عهد الطفولة.. ولكن مارستها حقيقة على شقيقاتها، ثم استمرت اللعبة معها طوال مراحل عمرها حتى صارت واقعًا وعادة.

ولكنها في بداية عمرها إفتقدت وجود الرجل في حياتها.. لا غنى للمرأة عن الرجل.

فوالدها لم يكن يمكث في البيت إلا قليلًا ، فهو نهارًا في عمله وليلًا في سهراته مع أصدقائه. وعلى الرغم من الغياب الكثير، إلا أنه كان طيب القلب ، حانياَ.

لكنها إفتقدت من وجود الرجل عامة، وجود الأخ الأكبر.

لا بد للأنثى من حياة يكون قوامها الشعور الدائم بالحنان والأمان تحت ظل رجل.. تأنس إليه وتركن إليه وتطمئن لوجوده.. سواء كان هذا الرجل أبًا أو أخًا أو زوجًا..

فعوّضها الله ب(فارس).. أخيها من الرضاع، والذي كان يكبرها ببضعة شهور.

هو إبن لجيران الشقة المقابلة لهم.. جيرة وزمالة عمل وسهر بين كلا الأبوين وزمالة دراسة بين والدة كل منهما.

إعتادا سويًا على أنهما إخوة منذ الصغر.. ولم تنقطع العلاقة بينهما قط.. على العكس وجدت فيه الأخ الأكبر، ووجد فيها الشقيقة الصغرى التي لم يحظ بها. على الرغم من وجود شقيقات (نورا) الأخريات، إلا أنها كانت الأثيرة لدى (فارس) لتقارب عمريهما.

وعند البلوغ وفورة الجسد الخامل، لم يراودها الندم أو الحسرة فيما تسبب به القدر من جعل أقرب الذكور إلى قلبها مُحرّمًا عليها، ولكن كما استمر الأمر مع الطفولة، استمر أيضًا مع الشباب. فصارت المودة بينهما في جدية صداقة الرجل بالرجل وجدية حب الرجل والمرأة، وكأنهما توأمان خرجا من رحم واحد. وقد شجعت أسرتيهما هذا الأمر وباركته.

دومًا كان (فارس) يسمع- من والديه ووالديها- بأن يضع يديه في يديها حتى لا تتوه منه أو يقترب منها أحد غريب.. فهو أخاها. فأصبحت هذه عادتهما كلما التقيا سويا. يجلسان بالقرب من بعضهما البعض متشابكي الأيدي.

فتحول الحذر الذي بدأ مع الطفولة بتشابك الأيدي إلى النوع إلى البحث عن ود مفقود لدى (فارس)، وحنان وأمان غائبين لدى (نورا). وساعدها هذا الأمر كثيراً في مواجهة معاملات الجنس الآخر نحوها.. فقد كانت أشبه بالفراشة الزاهية بين العناكب.

ولكنها لم تقع أبدًا في شباك العناكب التي تحاول التصيد بها.

على العكس من ذلك..

شغفت بإحصاء الذين يقعون في شباكها هي. إلى أن خُطِبت لأول مرة وهي بعد في السنة الأولى من الكلية من أحد زملائها في كلية الطب يكبرها بأربع أعوام. كرهه (فارس) للغاية، ليس لأنه قطع تقريباَ كل ما يربطه ب(نورا) من مودة، ولكنه أيضًا لأنه لم يرتح له على الإطلاق. ولم تعد المياه لمجاريها إلا بعد أن فسخت الخطوبة بعد أشهر قليلة.

وعندما أتى الزواج.. أتى من قِبل (ياسين) وهي بعد في السنة الأخيرة من الدراسة.

شاب هو، جار وإبن لإحدى صديقات أمها يقطن معهم في نفس المبنى، وطالما لعبت معه هي و(فارس) أمام مدخل منزلها. أحبها في صمت حباَ شديدًا من بعيد حتى سنحت الفرصة المناسبة

للمبادرة للزواج. ولم تجد من تستشيره سوى (فارس) الذي شجعها على هذا الأمر والمضي فيه قُدمًا.. على الرغم من أنها كانت تحكي له دومًا عن الفارس الذي تريده أن يأخذها على حصانه الأبيض، فيقول لها مداعبًا بأنه (فارس)..اسم على مسمى.

كانت تحكي هذا الأمر له كحلم مستمر لا يفارقها.

إذا دخلت غرفتها تجدها وقد ألصقت على جدران غرفتها صورًا لسندريللا وسنووايت والجمال النائم.

وقد تساءل (فارس) وقتها ما الذي أعجبها في (ياسين) وهي التي تحيا دومًا في هذا العالم الوردي الذي صنعته؟

(ياسين) طيب القلب ويحب (نورا) وهو المهم، إلا أن ذلك الحب لم يخلُ من المنغصّات.. ففي فترة الخطوبة، الحب الشديد.. رافقته الغيرة الشديدة.. ولكنها عدّت تلك الغيرة حبًا واهتمامًا.

فقد كان اختيارها لخطيبها الأول قلبيًا بدون تفكير، أما اختيارها ل(ياسين) فكان عقليًا في المقام الأول.

ولكن عندما امتدت تلك الغيرة لرفيق عمرها وأخيها.. كانت لها وقفة. فقد بلغ من غيرة (ياسين) أنه أخبرها كمن يملي عليها الشروط بأنها ينبغي عليها أن تقطع علاقتها بكل من تعرفهم من الرجال من زملائها وأولهم (فارس). وكان في هذا جرح كبير لكرامتها. لم تستطع مواجهته سوى بالصمت تارة وبالبكاء تارة أخرى، حتى تصدى له والدها. فقال له يومًا ‘خلاص سأزوجها ل(فارس)’.. فرد (ياسين) وقتها في بلاهة ‘إزاي وهو متحرّم عليها’.

فسأل السؤال وحصل على الإجابة، وأصبح من ساعتها وجود (فارس) متقبلًا ولم يقترب من هذا الموضوع أبدًا. فقبل هذا الموضوع بعد أن تحكم العقل على العاطفة.

وعلى الرغم من ذلك، إلا أنها تمادت في إستثارة أعصابه كلما إلتقوا ثلاثتهم.. هو وهي وأخاها. فتضع ذراعها في ذراع (فارس) أو تقبّل وجنتيه أو تريح رأسها على كتفه.

أما في الجامعة فكان لا يعلم بحقيقة (فارس) كأخيها من الرضاع إلا القليل.

ومما ساعد في إبقاء هذا الأمر شبه معروف، وجودها في كلية الطب و(فارس) في كلية التجارة.

وكانت كلما سنحت الفرصة ل(فارس) كي يمر عليها في كليتها.. رأينها صديقاتها معه وهي تضع ذراعها في ذراعه أو تضع يدها في يده فتجيب في حبور:

- "أصل إحنا متربيين مع بعض. زي أخويا يعني".

لكنها لم تكشف عن حقيقة الأمر إلا بعد زيارة إحدى زميلاتها لها لأول مرة.. لتجد (فارس) في غرفتها. بل ويغط في النوم على فراشها.

هنا لم تجد بُدًا من الإعتراف- ضاحكة- بحقيقة أن (فارس) أخيها من الرضاع.

وتفسرت بعدها العديد من الأمور.

وكما أثارت إهتمام الرجال ومداعبة أحلامهم.. أثارت في المقابل حسد النساء وغيرتهن، وكأنما صارت مقياسًا لنجاح كل أنثى في مضمار الحياة. وبالتالي كثرت من حولها الشائعات.

لذا.. فالمقربات لديها قليل، وقد ساعدها (فارس) في هذا الأمر فكان يشير عليها دومًا بمن تصاحب وبمن تصد. بمن تقترب وبمن تحذر. ومثلما كانت أمًا لشقيقاتها.. أصبحت أما لثلاث بنات.. هن جل إهتمامها.

وقد كان وضعها كزوجة وأم.. عوضا لها عن عملها كطبيبة. فهي لم تعمل في مجال الطب أبدًا. حتى عندما سافرت مع زوجها للخارج، لم تحاول حتى أن تشغل وقت فراغها في أي عمل.

دخلت (نورا) وهي تحمل صينية عليها كوبين من عصير البرتقال وطبقين بهما كيكة برتقال أيضًا.

إلتقط (فارس) ما على الصينية وهو يقول:

- "تسلم إيديكي.. طبعا إنتي اللي عاملاهم مش حد تاني".

- "أيوة أنا اطمئن".

- "أمّال البنات فين مش سامع لهم حس يعني؟"

- "(نيرة) أختي عدت خدت (ياسمين) و(عُلا) مع ولادها على النادي قبل الدراسة ماتبتدي.. وعشان تعرف ترسم على راحتك. مفيش غير (داليا) نايمة جوة".

ثم مدت ناحية كراسة الرسم لتلتقطها وتقلبها. قالت:

- "إيه ده؟! دي فاضية!"

- "ما انت أول إستفتاحي".

قالها وهو يلوك قطع الكيك ويرشف معها العصير.. لقد أعدت الكيكة بالأمس أو أول أمس على أقصى تقدير..

طعم الفتور الليلي والإرهاق مع نكهة البرتقال..

أما العصير فكان هو الألذ.. الكثير من الترقب الواهن والنعومة السلسة التي تحاول أن تطفو على السطح.. وكثير من السرور.. وأشياء أخرى مكدّرة ولكنه تجاهلها كالعادة.

هذه هي (نورا) التي يعرفها..

أخذا يتحدثان في أمور شتى - أثناء انهماكهما في الأكل والشرب- في الغالب حول ما كانت تفعله في سفرها. إلى أن التقط (فارس) كراسته وقلمه من جيبه وبدأ في رسم الخطوط الأولية. فقالت (نورا) بابتسامتها الطفولية:

- "عايزني أقعد بطريقة معينة؟"

- لا.. خليكي زي ما انتي على طبيعتك.. أنا بس هارسم الأساسيات، أما الباقي هاتسلى عليه في البيت".

بدأ (فارس) بالفعل في الرسم. وبعد بضع دقائق كان قد انهمك في الرسم كلية، إلى أن ذكرت (نورا) في وسط حديثها حفل الدش بارتي الذي كان قد حضره. فاعتدل في مجلسه بعد انغماسه في الرسم ليقول:

- "كانت عزومة ظريفة.. ولكن كان ناقصها واحد كنت فاكر إني هلاقيه".

إعتدلت (نورا) لتسأله في إهتمام:

- "قصدك مين؟"

- "(يحيى)".

ثم نظر إليها من خلف كراسة الرسم ليرى رد فعلها.

- "قصدك (يحيي..".

- "بالضبط.. (يحيى شرف الدين).. هو مش كان صاحبنا برضه وأنتيمنا؟"

- "آه طبعًا.. لكن أخباره مقطوعة عنّا من زمان خصوصًا بعد جوازنا أنا و(ياسين)".

- "طب ده مش كان أدعى إنك تتصلي بيه وتعزميه؟!"

( لا يوجد رد فعل على وجهها إطلاقا.. فقط الوجوم)

- "ماهو أنا ماعنديش نمرة تليفونه.. تليفونه إتغير تقريباَ".

- "مفيش تليفون.. يبقى الواحد يسأل.. (ياسين) يروح له بيته ويعزمه".

- "أهو اللي حصل بقى".

قال (فارس) وهو مستمر في عمله متعمدًا إستفزازها:

- "شكلك كدة شايلة منه.. أو على الأقل تلاقيه عمل معاكي حركة نص كُم".

فقالت وهي تكسر حاجز الوجوم بابتسامتها:

- "من (يحيى)؟ لا والله أبدًا.. ده إنسان محترم جدًا.. ياريت كل الناس زيه".

- "آه.. يبقى (ياسين) بقى إشتغل معاه موضوع الغيرة.. ماأنا عارفه.. في الموضوع ده زي الأتوبيس اللي سايقه سواق أهبل".

فقالت ضاحكة:

- "مش للدرجة دي!"

- "لا للدرجة دي ونص.. وبيني وبينك أنا عاذره.. وهو معقول برضه إن غراب نوحي زيه كان يحلم إنه يتجوز يمامة بيضاء زيك؟"

فقالت:

- "بس قلبه طيب والله".

- "على رأيك.. أهو أحسن من الدُّغُف الأولاني اللي كنتي مخطوبة له".

سكتت (نورا) هنيهة ثم قالت:

- "إنت عارف أن (يحيى) كان سبب في جوازي أنا و(ياسين)؟"

توقف (فارس) عن الرسم ثم مال أمام (نورا) في إهتمام:

- "إزاي؟"

قالت بصوت خافت:

- "بعد خطوبتي الأولانية من (هشام) اللي إنت كنت معترض عليه من البداية، ماكنش فيه معايا حد يقف جنبي.. راجل يعني.. خصوصًا إنك في كلية وأنا في كلية.. وكمان رجلك بقت تخف من عندنا وده لأنك كنت في الأساس مش بتحب (هشام)".

- "عمري ما ارتحت له أبدًا".

- "على العموم ده موضوع وراح لحاله".
- "وإيه دخل (يحيى) في الموضوع؟"
سكتت قليلًا وكأنها تبحث عن كلام ثم قالت:
- "بعد فسخ الخطوبة مالقتش حد أتكلم معاه أو أفضفض له غير (يحيى).. حسيت إنه قريب مني قوي".
- "هو قريب من الكل عمومًا".
- "آه.. حسيت ساعتها إنه حاسس بيا.. إني كنت مكسورة.. وكان هو دايمًا اللي يهديني ويقولي محدش بيتعلم ببلاش..كدة يعني".
- "وصاحباتك البنات كانوا فين؟"
- "موجودين.. بس حسيت ساعتها أنهم شمتانين فيّا وفرحانين".
- "معقولة الكلام ده؟!"
- "أهو ده اللي حصل".
- "إزاي يعني؟! أمّال (عزة) و(أسماء) دول بيعملوا إيه؟"
- "لما تكون في مشكلة وما تلاقيش حد واقف جنبك ولو بكلمة يواسيك بيها ويطبطب عليك، أكيد هيكون شمتان فيك".
- "برضه ما قلتليش إزاي (يحيى) كان السبب ف جوازك إنتي و(ياسين)؟"
- "قلت له إن (ياسين) متقدم لي ومش عارفة آخد قرار.. وكلمة من هنا وكلمة من هناك.. ريّح بالي.. قاللي مثلًا اللي تعرفيه أحسن من اللي ما تعرفيهوش.. وفي الآخر قال لي خدي اللي يحبك أحسن من اللي تحبيه".

إعتدل (فارس) في مقعده وهو مندهش.. لأول مرة يسمع هذا الكلام.. كان يظن أنه مُلم بكل كبيرة وصغيرة في حياته وحياة كل من يعرفهم.. وهاهي (نورا) الآن تصدمه بهذا الكلام.. كان يظن أنه أقرب الأقرباء إليها.. ولكن هاهو الآن (يحيى) الذي جاء يبحث عنه، أخذ منه هذه المهمة ولو بصفة مؤقتة.

وإذا كانت هذه هي الحقيقة بدون شر.. فلماذا إختفى (يحيى) من الحضور ومن حياتهم؟

(نورا) يا (نورا)..

خلف هذا الوجه الجميل يكمن وجه آخر يحوي أسرارًا، لا يعلم إلا الله مدى عمقها.

إنتزعته (نورا) من أفكاره وهي تقول:

- "إنما إنت إيه اللي فكرك ب(يحيى)؟ عشان ما شفتوش يوم العزومة؟"

- "تقريباَ.. لكن قولي لي.. إنتي إتعرفتي عليه إزاي؟"

- "مش فاهمة؟"

- "يعني هو في الأصل كان صديق مين من الشلة في الأساس؟"

- "هو مش كان صاحبك إنت؟"

- "أيوة صاحبي وكل حاجة.. لكن هو دخل شلتنا مع أي واحد؟"

- "معاك إنت.. أنا كنت فاهمة إنه صاحبك من الجامعة؟"

- "لا أبدًا".

- "إزاي دا هو اللي قايلي إنه صاحبك".

- "تؤ تؤ.. ده حتى كان في كلية صيدلة وأنا في تجارة".

- "غريبة.. يمكن يكون صديق ل(عزة) و(عمرو).. ماهم كانوا في كلية طب".

- "أو صاحب جوزك".

- "بس (ياسين) ما اتعرفش عليه إلا عند خطوبتنا".

هز (فارس) كتفيه في لامبالاة، وكأنما أدرك أن الكلام مع (نورا) بشأن هذا الأمر سيقوده إلى حارة مسدودة.

وما هي إلا دقائق حتى خرج- بعدما تلقى إتصالًا هاتفيَا من هاتفه المحمول بشأن عمله- من عند (نورا) مع وعد بزيارة أخرى ليقوم برسم (ياسين)، وقد اتفقا أيضًا بأنها سوف تقوم بالإتصال ب(عزة) و(أسماء) للقيام بنفس العمل ونفس المهمة.

*****

(أيمن عبد العزيز رضوان)

كان هو و(أسماء) المحطة التالية لدى (فارس)..

تلقى (فارس) إتصالًا هاتفيًا من (أيمن) و(أسماء) يدعوانه على الغداء هو وزوجته وبالطبع مع كراسة رسمه، ولكنه إعتذر بشأن حضور زوجته متعللًا بحجة واهية، رغبة منه للإنفراد بكليهما.

لقد هاتفت (نورا) (أسماء) تليفونيًا وأخبرتها برغبة (فارس) في رسم جميع أصدقائه ولكنه يخجل من المحادثة مع أي شخص بسبب مشغوليات كل فرد منهم، فبادرت (أسماء) بالتحدث إليه هي و(أيمن).

كانا يسكنان في موقع متميز أمام مجمع محاكم مصر الجديدة. فهما بذلك قريبان من ميدان وسينما روكسي وحديقة الميريلاند من ناحية، ومن ميدان مستشفى هليوبوليس من ناحية أخرى.

على الرغم من أن الشوارع مزدحمة في هذه الساعة -وكل ساعة، إلا أنه لم يتعب في الوصول للبيت بل وفي العثور على مكان لسيارته. وما هي إلا دقائق حتى كان (فارس) جالسًا في الصالة في بيت (أيمن).

(أيمن عبد العزيز رضوان)..

إذا أردت أن تصفه بكلمة واحدة.. فهي.. لا شيء.

هو لا شيء على الإطلاق شيئًا وموضوعًا،

خاصة من مظهره الذي يسهل على المرء أن يحكم منه على جوهره.

إذا رأيته بقامته القصيرة، ورأسه التي تغوص في جسده المكتنز، وشعره المصفف على غرار شباب سبعينات القرن العشرين، وملابسه التي لا تشي بشيء من الذوق إلا عن شخص غرضه من الثياب ستر العورة فحسب..

ولا يهتم بشيء من مظهره سوى بتهذيب شاربه والذي يُذكّر المرء بشارب الفنان فؤاد المهندس.

أما إذا تحدثت معه- إذا سنحت لك الفرصة للحديث معه- فلن تستفيد منه بشيء، على الرغم من أن يخصص جزءا من وقته للقراءة. ولكن تعامله مع ما يقرأه لا يفرق كثيرا عن الكلام الذي يدخل من أذن ويخرج من الأخرى ، فلا يتبقى إلا عنوان موضوع الحديث. وقد كان إتجاهه للقراءة بسبب وحدته في طفولته. فهو أكبر إخوته البنات - واللائي ولدن بعد ميلاده بوقت طويل، وأيضًا لإنصراف والده عنه عندما كان متنقلًا في عمله كمهندس بترول في أنحاء المملكة العربية السعودية.

لقد كان لوالده أبلغ الأثر في حياته، ولكنه مع الأسف.. أثر سلبي.. فعلى الرغم من تنقل والده وغيابه المستمر خارج المنزل، إلا أن الأمر لم يتوقف إلى حد الإهمال فحسب.

فوالده كان قاسياَ معه بشكل غريب.

فهو لا يطلبه سوى بالسباب والصياح. وإن تحدث إليه، صاح وأرغى وأزبد..

ولم يفهم السر في هذه المعاملة على الإطلاق. ولولا شبهه الشديد بوالده، لظن أنه ابن حرام.

وقد أكسبه هذا العداء لوالده كراهية وعداء شديدين، وصمتًا عند مواجهته، ولكنه ترجم هذا الصمت لنظرات مكبوتة أصبحت يومًا بعد يوم تثير الخوف في نفس والده نحوه خاصة كلما تقدم (أيمن) في السن.

ولم يشعر بالندم أو الخجل لكراهيته والده قط، وقد برر ذلك بأن الدين يأمره بطاعة الوالدين، ولكنه لم يأمره بحبهما أبدًا.. فكيف يحب مثل هذا الرجل البغيض؟

وعلى مقدار كراهيته لوالده، كان على النقيض، يكن أشد الحب لوالدته، والتي لا حول لها ولا قوة سوى مواساته والتربيت عليه.

حاول في بداية الأمر أن يشغل وقته بالعزف على عود أعطاه له أحد أصدقاء والده عندما رأى تعلقه به. ولكن والده حطمه قطعًا صغيرة وأرغمه على ممارسة رياضة الجودو والتي بز فيها أقرانه، وكان له تفوقًا ملحوظًا.. إلا أنه على الرغم من ذلك لم يحبها أبدا. وعزا إتجاهه إليها إلى مشاعره السلبية المكبوتة، سواء من ناحية والده أو من غيره.

إلا أن حبه للعزف على العود دفعه لشراء واحد من مصروفه الذي يدخره وأبقاه عند أحد أصدقائه الذي كان لديه شقيق أكبر قام بتعليمه العزف عليه بالفعل.

وإمعانًا في معاندة والده، قام بلصق صور بعض المطربين على جدران غرفته وهم يعزفون على آلة العود كفريد الأطرش وطلال مداح.

أما عندما يكون والده بالبيت، فكان يذهب إلى غرفته ويعزل نفسه ويقوم بتشغيل الأغاني العربية القديمة، بعدما يقوم برفع الصوت إلى الحد الذي يمكن لوالده سماعه!

ولكن الحق يُقال أن له موهبة واحدة حقيقية قد برع بها في إجتذاب الناس إليه، سواء في التعامل أو في الكلام وهي.. بيع الوهم.

وقد استقى ذلك من الكتب التي كان يقرأها.

وهم قراءة الكف والفنجان والكوتشينة وتحضير الجان وإستغلال طاقات الأحجار الكريمة وضرب الرمل وغيرها من كتب الأبراج الفلكية التي كان يشتريها كلما نزل لإجازة الصيف في مصر.

أيضًا كان يحفظ بعض أبيات الشعر، خاصة أشعار الغزل فيجعلها مفتاحا للحديث مع كل أنثى- خاصة عندما أتى لمصر بصفة نهائية للدراسة الجامعية.. ولكنه كف عن ذلك الأمر بعدما أوقعته بعض الأبيات الشعرية الفجة في العديد من المواقف الحرجة مع من يعرفهم. فانقلب السحر على الساحر.

لذلك مثلما كان الأساس القائم على علاقته بالآخرين واهيًا، كذلك كان البناء متهالكًا ومصيره إلى الزوال.. فعلى الرغم من كثرة

معارفه وأصدقائه إلا أنه لم يُعرف له صديق حقيقي مقرب قد إستمر معه.

كان بيته في الحقيقة بيت والده الذي إشتراه له جده في أواخر سبعينات القرن الماضي.. في عمارة شققها كلها إيجار قديم.. ما عدا شقته.. تمليك. كان الأمر في وقتها من ناحية والده يسمى حماقة وتهورًا، أما الآن.. فراحة مبعثها الحكمة نتيجة لتغير ظروف البلد. ونتيجة لتنقل والده المستمر وإستقراره بشكل جزئي في الخُبر بالمملكة السعودية، أصبح المسكن له بعد زواجه ب(أسماء).

وفي فترة الجامعة - بداية فترة إستقراره بمصر- ما أن كنت تدخل منزله حتى تجده خليطًا من العديد من التحف والأنتيكات والأثاث الذي كان يحرص على تبديد نقوده فيه..

من لوحات قرآنية في إطارات مزخرفة، ولوحات أخرى تشكيلية وسيريالية مقلدة وتماثيل فرعونية بجانب تمائم إفريقية، ووسائد مغربية على أبسطة يمنية، وكُتب عديدة لمؤلفين معروفين بجانب آخرين مجهولين بجانب مجلات مصورة وجرائد يومية وأسبوعية لم تمس قط.

وكانت شقته أيضًا ملتقى لأصدقائه، إلى جانب غرفة السطح في منزل (نورا) و(ياسين)، وعلى مقهى آخر بجوار منزله.

إلا أن كل هذا تغير عندما تزوج من (أسماء).

(أسماء) قريبته من ناحية والده، وكان قد تعرف عليها بعد نزوله إلى مصر أثناء العام الدراسي الأول.

فقد كانت تصغره بعامين وقد إلتحقا بالجامعة سويا. هي في كلية الطب وهو في كلية الصيدلة التي لم يمكث بها إلا قليلًا، فقام بتحويل أوراقه لكلية التجارة حيث تعرف هناك على (فارس) الذي كان يدرس معه في نفس الكلية.

لم يحب دراسة الصيدلة أو المواد العلمية قط.. ولكنها رغبة والده الإجبارية التي أذعن لها في صمت، ولكن قبل إنتهاء العام الدراسي الأول، قام فجأة بتحويل أوراقه لكلية التجارة.

وعلى الرغم من أنه كان قليلًا مايلقى (أسماء) أو ينفرد به خاصة عندما يجتمعون- الشلة- جميعًا، إلا أن علاقته بها لم تتلطف على المنحى الذي قاد لزواجهما إلا بعد إنتهاء إمتحانات السنة الأخيرة في كليته.

فقد كانت تتمتع بشخصية قوية، ذاب معها ما تبقى من قشور شخصيته. ولم يكن في هذا مايزعجه. فهو في الأصل بارد الطباع، متقبل لجميع الأمور خيرها وشرها.

وكان مما يثير الضحك لدى من يعرفونهما جيدا، أنهم كانوا يشيرون دومًا في قرارة أنفسهم بأنه مثلما تزوجت (أسماء) إمرأة.. تزوج (أيمن) رجلًا.

ولكن الحق يقال.. لولا قوة دفع (أسماء) له ومثابرتها، لما استطاع أن يتقدم في عمله أو ينجز شيئًا على الإطلاق.

لا يمكنك أن تمسك عليه شيء قط. لا عن مكر أو دهاء، ولكنه حيادي بشكل كبير.

**إذا قامت الحروب فلن ينجو سوى الحياديين وتجار السلاح.. و(أيمن) يمكن أن تضمه إلى الفئة الأولى..**

**كان (فارس) يرغب في الإنفراد ب(أيمن) بعيدا عن (أسماء) حتى لا يصل صوتهما إليها في المطبخ، الذي إنهمكت فيه لإعداد الغداء.. فقبل أن يبدأ (فارس) في عمله قال ل(أيمن):**

**- "أنا باخد أتعابي مقدم".**

**فقال (أيمن) ضاحكًا:**

**- "وأتعاب سيادتك كام؟"**

**- "أي حاجة أشربها بس المهم من صنع إيديك يا جميل".**

**- "إشمعنى؟"**

**- "أهو ده شرط الحصول على أتعابي.. عاجبكم أهلًا وسهلًا.. مش عاجبكم أروح عند (عزة) و(عمرو) أشخبط براحتي".**

**- "لأ وعلى إيه؟ الطيب أحسن. تشرب إيه؟"**

**- "إنت وذوقك".**

**- "تشرب قهوة؟"**

**- "وتقرالي الفنجان؟"**

**- "من زمان ما قريتش، بس عشان خاطرك نقراه.. قهوتك إيه؟"**

**- "مانو".**

**- "مانو دي بتتعمل إزاي؟ فكّرني".**

**- "سيادتك زبون قديم على كل القهاوي ومش عارف القهوة المانو بتتعمل إزاي!؟ خليها مظبوط".**

وذهب (أيمن) لإعداد القهوة بجانب (أسماء) التي إنهمكت في الحديث هاتفيا أثناء انهماكها في إعداد الغداء.

كان (فارس) يظن أن (أيمن) به بصيرة أو إستشفاف بسيط يمكنه من قراءة الفنجان. وكاد يرضخ لهذا الشعور الخفي، إلا أنه قد فهم الأمر متأخراً، وعدّه تسلية بريئة من ضمن التسالي. على العكس، أيقن بأنه لا يرقى لمستوى حاسة التذوق لديه.

وما هي دقائق إلا وعاد (أيمن) بصينية القهوة مع كأس الماء التقليدي.

رشف (فارس) القهوة في بطء ليتذوق على مهل.. بن ثقيل مع بعض الحبهان.

أما المشاعر.. فثقيلة ثقل البن، وكأنها قد عُبئت في حقائب تراكم عليها الغبار.

هذا هو (أيمن) كالعادة.. لم يتغير قط.

مشاعر مكبوتة لا تعرف متى تخرج أو كيف تظهر.. ولكنها دوماً تخرج في النهاية. هذا كل الأمر.

هو يعرف شعور (أيمن) من ناحية والده، فطالما حدثه عن هذا الأمر في بداية معرفتهما سويا.. ويعرف أيضًا أن علاقته به قد إنقطعت بمجرد بداية زواجه وإنخراطه في العمل، ولما استنكر (فارس) الأمر وقتها في البداية رد (أيمن) ساخرا:

- "وإيه العجيب في كده؟ ما هو ربّاني على هذا الأساس.. يا واكل لقمتي، إسمع كلمتي! وأنا خلاص إتفطمت عن لقمته، يبقى مالوش عندي حاجة!"

إنتهى (فارس) من شرب قهوته ثم إنتهى (أيمن) من قراءة فنجانه. لا شيء جديد أو واضح.. كل شيء على غرار ( قدامك سكة سفر).

لم يهتم (أيمن) يومًا بالسياسة أو حتى بكرة القدم، لذا عندما شرع (فارس) في رسمه أتى الحديث بمجرد سؤال (فارس) ل(أيمن) عن عمله في شركة معدات النقل الثقيل التي يعمل بها. وإستمر الحديث لربع الساعة تقريباَ.. حتى تطرق (أيمن) إلى موضوع دعوة الدِش بارتي التي كانت لدى (نورا) و(ياسين) إلى أن قال (فارس):

- "بس تعرف كان نفسي بقى أقابل مين؟"

- "مين؟"

- "(يحيى شرف الدين)".

- "(يحيى) مين؟.. آه (يحيى)...يااااااااااااااااه".

- "إيه كنت ناسيه؟"

- "من زمان أوي ما شفتوش.. هو بالحق ماجاش ليه؟"

- "للأسف (نورا) بتقول إنها ماعندهاش نمرة تليفونه ولا حتى عنوانه".

- "ياه.. كانت أيام".

- "ما تعرفش هو فين دلوقت؟"

- "لا أبدًا.. دي أخباره مقطوعة عني من زمان".
- "غريبة الحكاية دي.. أمّال آخر مرة شفته فيها كان إمتى؟"
فكر (أيمن) قليلًا ثم قال:
- "والله مش فاكر. بس تقريباَ كدة قبل خطوبتي ب(أسماء) بكتير. جالي البيت هنا مرة وقعد معايا.. وبعد كدة ما اعرفش عنه حاجة".
- "ما حضرش فرحك؟"
- "بيتهيألي إنه ماعرفش أصلًا إن أنا و(أسماء) إتجوزنا! ماأنت عارف إن فرحي أنا و(أسماء) كان في العريش عشان قرايب (أسماء).. إنت نفسك ما حضرتش، وبعدين (يحيى) هو اللي كان دايماً اللي بيطب عليّ هنا، من أيام ما كنا في الكلية مع بعض".
- "هو مش صيدلة؟ معانا إزاي؟"
- "إنت باين ذاكرتك بقت بيضا. إنت ناسي يا بني إن أنا كنت في صيدلة قبل ما أحوّل لتجارة؟"
هنا إرتفع حاجبا (فارس) لأعلى وقد عرف الآن من أين دخل (يحيى) عليهم.
لقد أصبحت ذاكرته فارغة فعلًا. لطالما إجتمع ثلاثتهم، هو و(يحيى) و(أيمن) في شقة الأخير.. يتحدثون ويمرحون.
لقد تعرف على (يحيى) بالفعل عن طريق (أيمن).
لم يسأله عن سبب عدم معرفته لهاتف أو عنوان (يحيى)، ف(أيمن) لا يتصل بأحد تقريباَ.

أما الزيارات فكان المحرك الفعلي لها هو (أسماء).. سواء كان مرجع ذلك الأمر لشخصية (أسماء) القوية أو لشخصية (أيمن) الإتكالية.. ففي النهاية.. المعنى واحد.

قال وهو منهمك في رسمه:

- "غريبة إنه كان معانا دايمًا وفي نفس الوقت مانعرفش عنه حاجة!"

- "لأ إزاي بقى؟!"

- "طب تعرف عنه إيه؟"

- "يعني العادي.. كان إنسان مثقف جدًا.. وياما إتناقشنا سوا في اللي كنا بنقراه.. وكنت بفضفضله زي ما بفضفضلك كدة".

- "على يدّي..طب تعرف هو ساكن فين؟"

فكر (أيمن) وهو يرفع بصره لأعلى ثم قال:

- "لا تصدق ما أعرفش ساكن فين؟! غريبة قوي الحكاية دي!"

إذا لم يعرف (أيمن) عنوان (يحيى) فمن الذي سيعرفه؟ هكذا قال (فارس) في نفسه.

- "عمومًا.. إنت عندك صورة ليه؟"

- "مش عارف.. عندي صور أكيد. إستنى لما أسأل (أسماء)".

نادى على زوجته التي أتت بعدما إرتدت إسدال الصلاة وقد إنحشر هاتفها المحمول فيما بين أذنها اليسرى والحجاب المحيط برأسها. مازالت في حديثها التليفوني.

- "(أسماء).. فين ألبوم الصور بتاعنا إحنا والشلة؟"

- "ليه؟"

فقال (فارس) من فوره:

- "بندوّر على صورة ل(يحيى)".

فقالت في تجهم:

-"(يحيى شرف الدين)؟"

فقال (أيمن):

- "أيوااة.. فاكراه؟"

- "وعايزين له صورة ليه؟"

فقال (أيمن):

- "دا انتي غلسة، ما تجيبي الألبوم وخلاص!"

- "بس إحنا ماعندناش أي صورة ل(يحيى)!"

فقال (أيمن):

- "بس هاتي الألبوم وإحنا نشوف".

- "أنا متأكدة".

فقال (فارس):

- "خلاص.. إرجعي إنتي لتليفونك".

فقال (أيمن) ل(فارس):

- "إيه اللي يخليها متأكدة كدة؟"

- "علشان هو اللي كان دايماً بيصورنا لما كان معانا".

- "غريبة!"

شعر (فارس) بأنه يبحث عن شبح شفاف في صورة باهتة..

وحتى ذاكرته لا تسعفه بأن يرسم له حتى صورة من الذاكرة.
لم يفقد ذكرياته، ولكنه فقد ذاكرته.
يا للسخرية!
لم يخبره (أيمن) بشئ محدد عن (يحيى).. لا شيء سوى أنه فرد من مجموعتهم.. لم ينفرد به في الغالب إلا هنا في منزله، وفي مرات أخرى على أحد المقاهي في ميدان سانت فاتيما أو بالقرب من بيته. وفي المكانين لا يتحدثان في الغالب إلا في أشياء تتعلق ب(أيمن).
كل ذلك كان (فارس) يعلمه، فلم يأت (أيمن) بجديد. بل حاول (فارس) حتى أن يذكر موقفًا معينًا أو شيئًا مميزاً إشترك (أيمن) معه فيه.. فلم يجد شيئًا تقريباَ.
كانت لقاءاتهم معًا لقتل الوقت فحسب.. بل على العكس، اللقاءات الجدية كان (يحيى) طرفًا فيها.
(أيمن) لا يعيش مثله في الماضي، ولكنه يحيا الحاضر بكل جوارحه.
يحيا بشعور مقيم البادية لا بشعور الحضري أو المسافر..
يكتفي فحسب بأساسيات الحياة من مأكل ومشرب وملبس ومسكن..
عزا (فارس) ذلك إلى مقاومته السلبية من ناحية والده، فأصبح أسلوب حياته يعتمد أساسه على اللامبالاة.
الماضي مؤلم لديه، والوضع الحاضر لا يسمح له بأن يفكر في المستقبل.

إذن ليعش الحاضر بكل ما أوتي من وسائل.
ترك (فارس) (أيمن) على سجيته يتحدث في أمور شتى أغلبها بشأن عمله.
لم يتغير (أيمن) حقيقة، ولكنه مستمر كي يظل حيّاً.
أنهى (فارس) جزءاً كبيراً من اللوحة حتى أتت (أسماء) وهي تقول:
- إتفضلوا الغدا جاهز".

*****

(أسماء محمد سلمان)

متوسطة القامة أميل إلى القِصر، حلوة القسمات، متوسطة بياض البشرة، نحيفة الجسد، ذات أسنان بيضاء منظومة.. تتألق دومًا عندما تضحك أو تبتسم.

من أب فلسطيني وأم مصرية.. وعلى الرغم من أنها قضت جُل طفولتها في الأردن مع والديها إلا أنها تعتز بفلسطينيتها كثيراً.. أما مصر فهي بالنسبة إليها الملاذ الأم.. وقد إستقرت بها بدءاً منذ الدراسة الثانوية العامة بالمدرسة.

ذات صوت جميل للغاية.. به دفء يُذكر بصوت المطربة (أنغام) وبحة كصوت (إديث بياف)، وكثيراً ما كانت تتغنى وسط صديقاتها. أما أمام الرجال، فكانت تخجل، إلا في مرات قليلة أمام (فارس) و(عمرو) زوج (عزة)، خاصة وأن (أيمن) لا يعلق كثيراً على هذا الأمر.

إذا دخلت غرفتها، وجدت العديد والعديد من أدوات التجميل والعطور أمام مرآة التبرج (التسريحة). تهتم دوما بالكمّ لا بالكيف.

إلى جانب ذلك.. العديد من مجلات الموضة والثياب قد تناثرت في أنحاء الغرفة.

أما في دولاب ملابسها فتحتفظ في جانب منه بالثياب المميزة والتي تحرص على تفصيلها وحياكتها بنفسها للخروجات والسهرات المميزة.

كانت في الماض القريب تحرص على إقتناء المجلات الأسبوعية، أما الآن تقضي وقتها في تصفح ما تريده عبر مواقع الإنترنت وتحتفظ بما شاءت من صور وملفات.. فخفف هذا الأمر معها قليلًا.
تحرص أيضًا على مشاهدة وتصفح كل ما يتعلق بفن الطهو.
بشهادة الجميع.. لا يُعلى على طعامها. لذا تحرص دومًا أن تكون الأكثر تميزًا، لا الأكثر تفوقًا فحسب.
عندما إستقرت في مصر، قطنت في البداية في بيت خالتها. ولكن عندما إلتحقت بالجامعة، فضلت المكوث في بيت خالها بمدينة نصر، وتعللت وقتها بأن بيت خالها أقرب للجامعة من بيت خالتها.. وكان هذا عذرًا واهيًا.. فأبناء خالتها الأطفال لم يعودوا أطفالًا، وقد شعرت أن مكوثها وقتها يثير قلقًا وحرجًا. وعندما إلتحقت بالجامعة تعرفت على (أيمن) والذي كان والده إبنة خالة والدتها..
لا بد للفتاة من رجل تستطيع أن تعرف عن طريقه، كيف تسير هنا أو هناك.. حتى لو كان هذا الرجل هو (أيمن).
فمع إنتهاء السنة الدراسية الأولى، كانت قد إعتادت مع كل إتصال هاتفي من والديها أن يفاتحاها في موضوع الزواج.. وأن هناك فلان من أقرباء والدها يتقدم لخطبتها.. ولكنها كانت دومًا ترفض بحجة أنه لا إرتباط قبل إنتهاء الدراسة.. وقد قبل والداها هذه الحجة على مضض، وإن كانت في قرارة نفسها ترغب في

إختيار شريك حياتها بنفسها. كانت سريعة التعلق.. سريعة الخروج.. إلا إن إختيارها وقع في النهاية على (أيمن)..

لم يعارضها (أيمن) أبدًا في أي قرارات تتخذها سواء كان الأمر قبل الزواج أو بعده، ولكنه كان له وقفة معها بشأن عملها.

كان يرغب في زوجة تتفرغ له كلية، وفي النهاية وافق على مضض بأن تعمل على فترات متناوبة في عيادة إحدى قريباتها تعمل طبيبة أمراض نساء وولادة من وقت لآخر كيلا تنسى ما تعلمته.

جلس (فارس) على المائدة أمام (أيمن) وقد توسطت (أسماء) المائدة كي يتسنى لها تقديم الطعام للإثنين..

سأل (فارس):

- "أمال الولاد فين؟"

فردت (أسماء):

- "بايتين عند بابا وماما من إمبارح.. عايزين يقعدوا معاهم قبل المدارس بتاعتهم وقبل كمان ما هما يسافروا. ساعتها قلنا أهي فرصة نقعد سوا من غير دوشة".

ثم تأوهت وهي تتتخذ مقعدها فلاحظ (فارس) الإنتفاخ الخفيف في بطنها فقال:

- "(أسماء)، إنتي حامل؟"

فردت ضاحكة:

- "أيوة".

- "على بركة الله".

ثم بدأ التذوق على مهل..
أبخرة الإعتداد والكبرياء تفوح مع الطعام قبل تذوقه.. (أسماء) بصلفها وكبريائها وثقتها اللانهائية في نفسها والرغبة في التقدير تفوح من كل طبق على حدة.
هذه هي (أسماء) كما هي لم تتغير.. عظيمة الإعتداد بنفسها.. وكأنه هذا هو حظها من اسمها.
لم يفكر (فارس) كثيرا في هذا الأمر، فالكل يعرفه من حوله.. وبلا تذوق!
إذا كانت هي و(أيمن) لم يتغيرا فما الذي جدّ؟
طرد هذه الخواطر عن رأسه بالإنشغال بالتلذذ بطعامها..
(أسماء) ست بيت بكل معنى الكلمة.. من صنف النساء الذي يُذّكر المرء بأمه أو بجدته.
سألت (أسماء):
- "أخبار الأكل إيه؟"
- "هي دي محتاجة كلام؟ ما انتي عارفة رأيي في أكلك من زمان".
- "بس (أيمن) مش بيعجبه".
نظر (فارس) إلى (أيمن) الذي انهمك في الأكل في صمت:
- "عشان حمار مش حاسس بالنعمة.. وأهو قاعد يحش زي الحمار أهو! يابني ستات اليومين دول لو الواحدة فيهم عملت لجوزها شوية مكرونة وفراخ بانيه تبقى فتحت عكا!"
ضحك الجميع للدعابة حتى قالت (أسماء):

- "كنتوا بتتكلموا في إيه وأنا في المطبخ؟ أكيد في حال البلد اليومين دول".

فقال (أيمن):

- "لا حال بلد ولا دياوله.. خلينا إحنا في حالنا أحسن".

- "لأ صحيح كنتم بتتكلموا في إيه؟"

فقال (فارس):

- "لا أبدًا.. في الدنيا ومشاغلها..إطّمني.. مش في السياسة خالص".

ثم جاءت على الوتر:

- "أمّال كنتم عايزين صورة ل(يحيى) ليه؟"

فردّ (فارس):

- "أبدًا.. أصلي ماشفتوش من زمان، وتقريباً مش فاكر شكله، وكمان ما أعرفش أخباره إيه".

- "الحقيقة أنا كنت فاكرة إننا هنقابله في عزومة (نورا) و(ياسين)".

- "أنا بقى ماكنتش فاكره خالص.. وكأنه إتلغى من ذاكرتي".

- "بس بيتهيألي إنكوا كنتوا أصحاب!"

- "فعلًا.. ولكن الدنيا بتلهي"..

ثم أشار إلى (أيمن) وقال:

- "ما هو جوزك أهو.. كان صاحب (يحيى) برضه الروح بالروح ولكنه ما يعرفش حاجة عنه".

ثم إلتفت إليها مستطردًا:

- "ما تعرفيش إنتي أي حاجة عنه؟ تليفونه.. عنوانه؟"
- "أبدًا".
توقع (فارس) هذا الأمر. خاصة وأن (يحيى) و(أسماء) لم يكونا مقربين بالشكل الكافي. كانت علاقتهما أقرب إلى السطحية. ف(أسماء) هي من تقرر دومًا من يقترب ومن يبتعد إلى حال سبيله.
قال (أيمن) من خلال فيه الممتليء بالطعام:
- "طب ماتسألوا أهله أو إخواته!"
فقال (فارس):
- "ايه الذكاء ده؟! أمّال إحنا بنقول إيه من الصبح؟!"
فقالت (أسماء):
- "أنا فاكرة إني سألته مرة زمان إذا كان عنده إخوات بنات فرد وقال: ولاحتى صبيان".
قال (فارس):
- "غريبة.. أول مرة أعرف المعلومة دي".
فقالت (أسماء) في إهتمام وكأنها هي التي تريد أن تعرف:
- "طيب آخر مرة شفته فيها كان إمتى؟"
- "غالبًا قبل جوازي. قابلني في المحل واعتذر عن حضور كتب الكتاب عشان الجيش وإنه طبعًا من المستحيل حضوره".
فقال (أيمن) هنا:
- "جيش إيه اللي بتتكلم عنه؟"

فرد (فارس) ساخرًا:

- "الجيش اللي إدّى لسيادتك إعفاء عشان عندك فلات فوت".

- "أنا أخدت إعفاء عشان وحيد على أربع بنات، وبيتهيألي إنه من المفروض برضه اللي مالوش إخوات خالص ياخد إعفاء هو كمان، ولا إيه؟"

ران على مكان صمت ثقيل لثوان بعد جملة (أيمن) فاعتدل (فارس) في مجلسه وقال:

- "مظبوط".

ثم قال متسائلًا بعدما فكر في صحة ظنونه:

- "هي إيه الحكاية؟ يمكن فهمت غلط ولا إيه؟"

كانوا جميعًا- الذكور بالطبع- لم يؤدوا الخدمة العسكرية، فما هو وجه الغرابة إن كان (يحيى) مثلهم؟

أنهى الجميع طعامهم في صمت بعد قليل ثم قاموا بعدها. ذهب (فارس) إلى الصالة وذهبت (أسماء) لرفع الصحون من على المائدة أما (أيمن) فقد ذهب لإشعال بعض الفحم من أجل الشيشة خاصته.

إستعجل (فارس) (أسماء) كي يقوم بالبدء في رسمها، أما (أيمن) فقد أخذ نارجيلته إلى الشرفة.

فقال (فارس):

- "مساء الخير يا معلم".

فرد (أيمن) في وخم:

- "معلش لازم أحبس بعد الأكل، تحب أولعلك فحميتين؟"
كانت دعوة هامشية، ف(فارس) لا يدخن.
- "لا يا سيدي بالهنا والشفا".
جاءت (أسماء) وهي تحمل سلة من الفواكه وضعتها أمام (فارس) فاعتذر، وتعلل بأن بطنه قد إمتلأت بالفعل من طعامها الشهي. ولكنه في الحقيقة كان من عادته ألا يأكل أي فاكهة بعد طعام الغداء. فذهبت بسرعة وعادت مرة أخرى وهي تحمل صينية عليها أكواب مياه غازية تقافزت فقاقيع الصودا منها في مرح. ولم تمنحه فرصة للإعتذار، فسرعان ما وضعتها أمامه.. تناول أحد الأكواب شاكراً، وأخذت هي كوباً وأعطته ل(أيمن) الذي غاب وسط دخان نارجيلته في الشرفة.
عادت (أسماء) إلى الصالة واتخذت مقعدها أمام (فارس) لتقول في إبتسامة واسعة:
- "هه.. عايزني أقعد إزاي؟"
- "زي ما إنتي.. خدي راحتك على الآخر.. معنديش مشكلة من الناحية دي. بس أهم حاجة إبتسامتك الحلوة".
إبتسمت بدورها وقالت له:
- "فاكر لما كنت بطلب منك إنك ترسمني؟ كان نفسي ترسمني من زمان!"
- "وإيه اللي كان حايشِك؟"
- "إسأل نفسك".

فقال متعمدًا إستثارتها:

- "في الحقيقة أنا ما كنتش داخل في الموضوع جد لولا (يحيى) هو اللي حط الموضوع في دماغي وجابلي الكراسة والأقلام من زمان، وفضلوا مركونين لحد ما جه وقتهم".

فقالت في وجوم:

- "آااه".

إعتدل (فارس) في مقعده وقال وهو يخط بالقلم في سرعة على كراسته:

- "واضح كدة والله أعلم إن سيرة (يحيى) بتضايقك".

- "لا أبدًا.. إيه اللي هيضايقني؟"

قال لها جملته الإستفزازية الأثيرة:

- "بس أنا حاسس كدة إنك زي ما تكوني شايلة منه أو في حاجة إنتي مش عايزة تقوليها".

- "لا أبدًا.. كل ما هنالك إن علاقتي بيه كانت عادية".

- "قصدك من بعيد لبعيد يعني؟"

- "أيوة بالظبط كده".

- "بس أنا فاكر إنكوا كنتوت بتهزروا مع بعض وبتتكلموا مع بعض".

لم يعن (فارس) هذا الأمر، ولكنه ألقى به لعله يحصل على جواب، فهزت كتفيها قائلة:

- "عادي زيه زي أي واحد فيكم".

ثم إستطردت:

- "وبيني وبينك أنا ما كنتش بحب أقعد معاه.. أنا كنت بس مضطرة أجاريه وأتكلم معاه عشان خاطركم".

- "هنا وصلنا لنقطة.. أكيد فيه حاجة ضايقتك منه".

فقالت في خفوت بعد هنيهة وكأنها لا تريد أن يسمعها (أيمن):

- "هو كان ليه حركات نص كم ما كنتش حطاها في بالي. ولكن مرة في مرة وقفته عند حده.

إعتدل (فارس) شاحذًا حواسه وقال:

- "زي إيه؟"

- "كأنه يعني عايزني أنا وهو نبقى صحاب.. بوي فريند وجيرل فريند زي ما إنت فاهم طبعًا. لكني سقّعت له".

- "غريبة إني أسمع منك الكلام ده".

- "أهو ده اللي حصل".

- "حصل إزاي يعني؟ يعني لمح لك بإيه مثلًا؟"

- "إنتي ساكنة فين، تحبي أوصلك البيت ، نمرة تليفونك.. الحاجات دي يعني".

- "بس ده عادي يعني".

- "وقتها حسيت إنه مش عادي..طريقته ما ريحتنيش".

- "طيب ليه ما حصلش الكلام ده مع (نورا) أو مع (عزة) مثلًا؟"

- "مش عارفة.. وعلى العموم الكلام ده أنا قلته ل(نورا) و(عزة)".

- "غريبة إن (يحيى) يحصل منه كدا، والغريب برضه إن (نورا) ما حكتليش الكلام ده عنه قبل كدا!"

- "ما هو مش كل حاجة لازم تتقال يا (فارس)".

مازال (فارس) يذكر اللقاءات التي كانوا يجتمعون فيها جميعًا، ولا يذكر قط على (يحيى) مسلكًا مسيئًا.. ولكن ربما حدث هذا وهو لا يعلم.. فصورة (يحيى) في رأسه مجرد خيالات. هو يذكر أنه كان قريبًا من الكل عمومًا.. يشعر المرء عندما يراه مع صديق أنهما خلّان لا يفترقان. وشيئا فشيئاً يكتشف عنه أمرًا جديدًا وكأنه لم يعرفه يومًا.

قالت (أسماء):

- "إنت عارف مين اللي ممكن تلاقي عنده صورة ل(فارس) ولينا كلنا؟"

- "مين؟"

- "زميلنا (أحمد عبد الكريم) اللي كان ساكن جنب بيت (عمرو درويش) قبل ما يتجوز هو و(عزة)، عنده صور بالهبل لينا كلنا.. فاكره؟"

- "طبعًا.. ده شخصية في منتهى الجمال.. بس ده مسافر!"

- "ما أنا عارفة.. بس هو ما بيفوتش شهر إلا ولازم يتصل على المسينجر أو الفيس بوك.. بالحق! هو (يحيى) مش ممكن يكون له حساب على الفيس بوك؟"

- "ممكن لولا إني دورت عليه يوم بليلة وما لقيتش له أي أثر".

قالت (أسماء):
- "عارف.. ساعات كنت بحس إنه صعبان عليا قوي.. خصوصًا لما كان بيقف لوحده. تحس إنه شايل هم على قلبه ومش قادر يبوح بيه".
- "يمكن كان بيحب".
- "إنت عارف إذا كان مرتبط بحد؟ إتجوز مثلًا؟"
- "على حد علمي مفيش".
كانت (أسماء) كما هي، وإن غدت أكثر إعتدادًا بنفسها وأكثر ثقة، خاصة بعد أن أصبحت زوجة وأمًا.
تعجب من حديثها المتقلب. تتحدث عن تصرفات (يحيى) السمجة، وتهتم بالسؤال عنه.
خط بقلمه شيئًا أخيراً ثم طوى كراسته وقام من مكانه ليسلّم على (أيمن) قبل أن يهم بالإنصراف، فوجد (أيمن) قد أراح رأسه إلى الوراء وقد غط في نوم عميق.
ضحك (فارس) و(أسماء) لمنظر (أيمن) المثير للضحك فقالت (أسماء):
- "أهو كل يوم على ده الحال.. ما يبقاش (أيمن) لو ماعملش كده".
ثم سارت بإتجاهه لتوقظة إلا أن (فارس) منعها بقوله:
- "لا لا.. سيبيه نايم.. دا النوم سلطان".
- "إزاي بقى؟!"

- "هو يعني أنا غريب.. اقعدي".

جلست ثم قالت:

-"إيه؟ مش هتوريني الصورة؟"

- "إن شاء الله لما تتجمعوا كلكم مع بعض، هتشوفوا الصور لما تخلص".

ثم قال بعدها:

- "حيث بقى إن صاحبنا نام، دا يشجعني أطلب منك طلب وياريت ما تكسفيني".

- "خير".

- "هتعمليهولي؟"

- "لو أقدر ما اتأخرش".

- "نفسي تغني لي الأغنية اللي كنتي بتغنيها زمان بتاعت الأطفال".

ضجكت (أسماء) وقد تورد خداها وقالت:

- "إنت لسه فاكرها؟"

- "ودي حاجة تتنسي! ده أنا حتى دورت عليها في النت وما لقتهاش.. تقريباَ مش فاكر إسم البرنامج".

- "دي كانت في مسلسل إفتح يا سمسم بتاع الأطفال.. كان مسلسل خليجي".

- "طب سمعيني".

- "مصمم يعني؟"

هز رأسه أن نعم ثم مال بجسده إلى الوراء وهو يهم للإستماع..
سكتت (أسماء) لثوان ثم بدأ صوتها ينساب رخيمًا شجيًا:

أطفالًا نخرج للدنيا
وتمر الأيام فنكبر
وبدون حنان الأبوين
لاينمو طفل أو يكبر
وبدون إرادة خالقنا
لن ينبت زرع أو يخضر
أطفالًا نخرج للدنيا
أطفالًا نخرج للدنيا
نشكر لله ونبتهل
أن يجعل دنيانا عيداً
نفرح بالعيد ونحتفل
ونعيش بحب وسلام
وبعون الله لنا أمل
أطفالاً نخرج للدنيا
أطفالًا نخرج للدنيا
يرعانا الله برحمته
فلندعوا جميعًا للخير
ولننشر نور محبته

ندعو لله ونصلي

يجزينا الله بطاعته

أطفالاً نخرج للدنيااا

كان (فارس) في حالة إنتشاء من صوت (أسماء) الدافيء.. صمت دقيقة ثم اعتدل في مجلسه وقال لها في بطء:

- "عارفة (يحيى) كان قالّي إيه عنك قبل كدة؟"

تبدى في عيني (أسماء) الإهتمام لتسأله:

- "قال إيه؟"

سكت قليلًا ثم قال:

- "حاجة إفتكرتها دلوقتي".

حدجته (أسماء) بنظرة تنضح بالتساؤل إلى أن قال:

- "قال لي لو بتعشق الجمال، إسمع (أسماء) وهي بتغني..صوتها بيغرد كأن فيه بيانو بيعزف جنبها..مفيش أجمل من كدة".

إبتسمت (أسماء) للحظة ثم خفضت بصرها أرضًا.

*****

(عمرو محفوظ درويش)

لم يقرر (فارس) في نفسه إن كان (عمرو) سيتصل به أم لا.. فمع إمرؤ في مثل شخصيته لا يمكن التنبؤ على أغلب الأحوال..

هذه هي المرة الثانية أو الثالثة التي يتلقى فيها إتصالًا هاتفياَ منه منذ حمل- (فارس)- هاتفًا محمولًا.

تبادل معه في البداية حديثًا وديًا، وإذا ما كان على باله أم لا.. ثم تطرق إلى موضوع الرسم الذي يقوم به، ثم دعاه إلى عيادته بأرض الجولف، التي هي أقرب لميدان السبع عمارات من ميدان الساعة- فهو سينهي عمله ساعة مبكرَا من أجله ويمكنهما أيضًا الجلوس سويًا لساعة أخرى في عيادته.

كانت الشوارع مزدحمة بصورة خانقة، فلم يجد (فارس) بُدًا من ترك سيارته في شارع النزهة بجانب ميدان سبع عمارات- وكله خوف من أن يعود فلا يجد السيارة في مكانها عند عودته- وقطع المسافة المتبقية سيراَ على الأقدام.

وصل (فارس) في الميعاد المحدد تزامنًا مع أذان العشاء، فجلس مع مساعد (عمرو) لربع الساعة في إنتظار خروج المريض الأخير..

جو العيادات المعقم والموحي بالترقب والحذر وشيء من الرهبة والخوف. تسلل هذا الشعور إلى (فارس) على الرغم من أنه جاء زائرَا لا مريضًا.

بعد قليل خرج (عمرو) بمعطفه الأبيض الطويل هاشًا باشًا مرحبًا به، فقام (فارس) متأبطا كراسة رسمه. قال (عمرو) بصوته المبحوح:

- "ياه! ده كأنك جاي في مهمة رسمية".

ضحك (فارس) لدعابته وكأنه يغتصبها رغمًا عنه، إذ بدا له الأمر هكذا.

كان الفتور والضيق قد تملكاه.. فقد كان يشعر بالفعل بأنه جاء لمهمة رسمية لدى (عمرو)، لا كما حل كأخ لدى (نورا) أو كصديق لدى (أيمن) و(أسماء). وبدأ شيء من الندم يتملكه لوقته الذي إقتطعه من أجله..

ثم بادره (عمرو) بقوله:

- "نصلي العشاء الأول وبعدين نقعد.. متوضي؟"

فأجاب (فارس) بالإيجاب وسرعان ما صلوا العشاء جميعًا.. (فارس) و(عمرو) ومساعده وقد وقف بهم (عمرو) إمامًا.

أنهوا الصلاة والتفت (عمرو) لمساعده آمرًا إياه بإعداد ما يرغب (فارس) في شربه قبيل إنصرافه، لكن (فارس) إعتذر ل(عمرو) وقال له:

- "خليها لبعدين.. أدينا قاعدين مع بعض".

كان غرضه بالطبع أن يقوم (عمرو) بإعداد الشيء بنفسه أيًا كان.. طعامًا أم شرابًا.

دلفا إلى غرفة الكشف سويًا، فاتخذ (عمرو) مقعده خلف مكتبه الواسع بعدما خلع معطفه الطبي، بينما قعد (فارس) على الكرسي الآخر الجلدي قبالته.

إعتذر (عمرو) لدقيقة كي يرد على هاتفه المحمول الذي أخذ يرن بأغنية حبيبي ل(عمرو) دياب.. كانت (عزة).

(عمرو محفوظ درويش).. طبيب أطفال.

عرفه (فارس) مع بقية زملاء (نورا)- (عزة) و(أسماء)- في السنة الثالثة أو الرابعة من دراستهم الجامعية، لا يذكر بالضبط. كانوا في تلك الفترة يتجمعون في درس خصوصي وللإستذكار بعد الدرس الخصوصي في غرفة السطوح حيث مسكن (نورا) و(ياسين).. ومسكنه هو- (فارس)- سابقًا.. ومن هنا عرفه.

لو رأيته بوجهه المتجهم وشعره الأكرت القصير وبجفونه المدلاة على عينيه لحسبته أبلهًا، ولكن ما أن تراه مرة أخرى وتستمع لحديثه بنظراته الراسخة وإبتسامته الواثقة أو لهجته القوية لعرفت أنه ليس كذلك أبدًا..

واثق بنفسه إلى أقصى حد..

يضع نفسه دومًا في موضع أعلى من الجميع- وإن كان لا يُفصح عن ذلك.

يجبرك على التحدث إليه إذا وجه إليك الكلام.. ولكن معرفته بالناس كلها قائمة أساسًا على مصلحته الشخصية..

فإن صافحك اليوم، فليس ذلك إلا لأنه يعمل حساباً للمستقبل بأنه قد يحتاج إليك في يوم من الأيام.
فكلما ذُكر (عمرو) بالإسم في جلسة، رأيت مط الشفاه والإمتعاض. فهو على قول الجميع 'بتاع مصلحته وبس'.
ولكن حتى إن وُجِد من يقابل هذا الأمر مدافعًا عنه بقوله إننا جميعًا أصحاب مصالح ولكن بدرجات متفاوتة.. لا يُغير هذا من الأمر شيئاً.
وقد تذكر (فارس) بأن (أيمن) نفسه قال له هذا الأمر مبكراَ، إلا إنه لم يهتم.
متعجل دومًا.. يقارن نفسه بمن حوله.. إذا سار أحد خطوة فهذا معناه بأنه متأخر بثلاث خطوات على الأقل.
إن نجح فهذا أمر طبيعي، فمن جد وجد ومن زرع حصد.. هكذا هو موقن على طول الخط.
وإن فشل، فللحظ العاثر الذي يتشبث به ومن عيون الحاسدين والحاقدين التي لا تتركه في حاله أبدًا... تذكر (فارس) ذلك الأمر أيضًا وهو يتطلع إلى الخرزة الزرقاء على مكتبه بجانب صورة فوتوغرافية لطفليه!
يرى دومًا بُغيته في الأشياء الغالية الثمن.. من الثياب والعطور والسيارات والهواتف المحمولة وساعات اليد وما شابه ذلك. فالغالي دومًا هو الأجود والأفضل والأحسن والأطول عمراَ.

وإذا لم يتوفر سوى شيء دون المستوى الذي يبتغيه، تبعًا لقدرته المالية، أضاف إليه على الفور المميزات التي تجعله من وجهة نظره -والتي ينقلها ويؤكدها لغيره- لم يشترِ هذا الشيء إلا لأنه الأفضل.
مثال على ذلك.. سيارته. فهو مثل أي شخص آخر، لا يستطيع أن يشتري إلا بقدر ما تسمح به قدرته الشرائية، فيسوغ بعد ذلك أنه إشترى السيارة لأن بها من المميزات التي لا توجد حتى في سيارات السباق.. وهكذا.
وحيد والديه. فلا إخوة له، مما دفعه لإتخاذ العديد والعديد من الأصدقاء، ولكن المقربين منهم إليه إثنين أو ثلاثة.
نشأ في الكويت في طفولته- لعمل والديه كطبيبين بشريين هناك- وأمضى عامًا في الولايات المتحدة الأمريكية قبل أن يذهب إلى مصر للدراسة بمفرده دون والديه.. وربما كانت كل العوامل السابقة ، هي ما جعلته 'بتاع مصلحته'.
إلا أنه بالرغم من ذلك لا يخلو من مزايا. فهو مثابر في عمله إلى أقصى حد، كريم. وربما كانت هذه الصفات هي ما جعلت (عزة) توافق على الزواج منه على الرغم من إعتراض والدها.. فمثابرته للظفر بها هي ما جعلتها تقف موقف التحدي من والدها إلى أن تم الأمر.
حاول والده بعد تخرجه أن يستقطبه معه في الخارج لكي يعمل، إلا إنه رفض الأمر وتعلل وقتها بأنه يرغب أولًا في إستكمال

دراسته. الماجيستير ثم الدكتوراه، وبعد ذلك يمكنه العمل في موقع محترم بمرتب أعلى. وكان هذا عكس الحقيقة.

كان (عمرو) يرغب في أن يظل في مكانه في مصر لسببين.

الأول هو رغبته بالإرتباط ب(عزة)، والسفر وقتها كان سيجعله يصرف نظره عن الموضوع برمته، وهو ما كان يؤرقه بشدة.

السبب الثاني هو رغبته أيضًا بألا يتحول مثل والديه.. آلة لجمع النقود.

دومًا كان يتساءل.. لم ينجبا غيره، ولا ينزلون لزيارة مصر إلا لمامًا، فلمن يكنزون الأموال؟

على الأقل هو يشعر بالإمتنان نحوهما، فلم يقصّرا معه قط. فلولا هذه الأموال لما استطاع أن يفتح بيتًا أو عيادة أو يركب سيارة.

أنهى (عمرو) مكالمته مع (عزة) ثم قال:

- "أخبارك إيه يا أبو الفوارس؟"

- "الحمد لله".

- "واحشني والله".

- "لو واحشك بصحيح كنت إسأل".

- "أعمل إيه مشغول والله على طول.. الصبح في المستشفى وبالليل في العيادة".

- "هو إنت لوحدك اللي مشغول؟! كلنا مشغولين.. وإديني أهو بتلكك بالرسم عشان أعرف أشوفكم".

- "آه بالمناسبة وريني كده أشوف اللي رسمته".

- "لا.. ماهو أنا بشيل أول بأول وبأكمل في البيت على راحتي".
- "وإمتى الإستلام إن شاء الله؟"
- "إن شاء الله ناوي أوزعها على الجميع في يوم نتجمع فيه كلنا.. زي عزومة (نورا) و(ياسين) الأخرانية".
- "آه بالحق.. ما قلتش تشرب إيه؟"
- "أي حاجة بس من إيديك".
- "خلاص نشرب نسكافيه".
- "بس سكر مظبوط".
قام من فوره إلى ركن مختبيء خلف بارافان فيه إبريق كهربائي وبضعة أقداح.
قال له وهو يخط فى كراسته:
- "بتشوف حد من صحابنا بتوع زمان؟"
- "أبدًا والله يا (فارس).. زي ما قلت لك.. وقتي ضيق، ويادوب بشوف (عزة) والولاد".
- "الحمد لله إنها قعدت في البيت".
- "الحمد لله.. ما أنا أمي كانت ولسه بتشتغل وما كنتش بشوفها لا هي و لا أبويا".
- "عشان كده ما خلفوش غيرك؟"
- "الظاهر كدا".
قال الجملة الأخيرة وهو يحمل كوبين كبيرين من النسكافيه. ثم قال (فارس):

- "أفهم من كلامك كدة إنك قطعت مع كل الناس؟"
قال وهو يجلس على مقعده:
- "لا طبعًا. فيه (إبراهيم الشبكشي) و(محمد مرعي).. دول من دفعتي بس إنت ما تعرفهمش. بنلعب كورة كل جمعة في النادي.. على حسب الظروف".
- "لا أنا قصدي من الشلة القديمة".
قال وهو يمد يده ناحية (فارس) بكوب النسكافيه:
- "لا أبدًا.. ما انت عارف الحياة بتلهي البني آدم ورا لقمة عيشه".
وأخذ (فارس) رشفة من الكوب..
من أسوأ ما ذقت في حياتي! قالها (فارس) في نفسه.
شعر مع الرشفة الأولى وكأن المكونات كلها منفصلة عن بعضها البعض.. حبوب القهوة عن مبيض القهوة وعن السكر والمياه المغلية..
وكثير من اللزوجة التي توحي بالتزلف. لم يخبِر (فارس) هذا المذاق من قبل.
هل هو هكذا فعلًا منذ البداية أم أن شيئًا جديدا قد طرأ عليه؟
قال (عمرو) وهو يشعل سيجارة:
- "وأخبار شغلك إيه دلوقت؟"
قال (فارس) وهو يحاول أن يخفي إمتعاضه:

- "هو نفسه السوبر ماركت القديم بتاع أبويا..الحمد لله مكفّيني وحاليا بفكر أفتح واحد تاني هنا جنبك في مدينة نصر مع واحد صاحبي بس بشاور عقلي".

ثم إستطرد (فارس) وهو يخط بقلمه في محاولة منه في ألا يجره لأحاديث جانبية:

- "إلا يا أخي يوم العزومة عند (نورا) و(ياسين) ماعرفتش استمتع خالص".

- "ليه بس؟"

- "الكلام جرنا للسياسة والبلد وبلاويها ونسينا خالص إننا بقالنا مدة ما شفناش بعض".

- "آه والله عندك حق، بس نعمل إيه.. إذا كان النسوان والعيال الصغيرة نفسها بتتكلم في السياسة ، مش عايزنا إحنا نتكلم!"

- "على رأيك.. إلا ما كانش نفسك تشوف حد تاني في العزومة؟"

فكر قليلًا ورفع حاجبه اليمين ثم قال:

- "إمم ما اعتقدش.. ليه إنت فيه حد كان نفسك ييجي؟"

- "بصراحة آه، بس مالقيتوش".

- "مين؟"

- "(أحمد عبد الكريم)".

- "آه حمادة.. حبيبي.. ده واحشني قوي".

ثم أكمل (فارس):

- "و(يحيى شرف الدين)".

- "ياه إنت لسه فاكره؟ الحمد لله إنه ما جاش".
توقف (فارس) عن الرسم وإلتفت إليه متسائلًا:
- "ليه؟"
إعتدل (عمرو) في مجلسه وكوب النسكافيه في يمناه وقال:
- "يا راجل.. ده بني آدم خنيق.. عمري ما ارتحت له".
- "غريبة!"
- "إيه الغريب في كدة؟"
- "إنك أول واحد أسمعه بيقول الكلام ده عنه.. زي ما تكون شايل منه!"
- "لأ مش شايل منه ولا حاجة، بس الحقيقة مش عارف إيه سر إعجابكم بيه!"
إستخدم (عمرو) صيغة الجمع.. هكذا قال (فارس) في نفسه.
- "والله أنا عن نفسي ما شفتش منه حاجة وحشة".
- "على العكس.. أنا بقى شايف إنه إنسان حشري ودمه تقيل.. إحنا كلنا كده مع بعض إما زمايل أو جيران أو أصحاب.. أما هو فتقريباَ الوحيد اللي مالوش علاقة بينا.. كان في صيدلة".
كان (فارس) يعلمِ بأن ظهور (عمرو) في وسطهم لم يكن إلا رغبة منه كي يكون قريباَ من (عزة). ودّ لو سأله عن رأي زوجته (عزة) في (يحيى)، ولكنه قدّر في تفكيره بأنها على عكس زوجها تمامًا. قال بعدها:
- "بس أنا كنت بشوفكم دايمًا مع بعض زي السمن على العسل".

- "لا أبدًا ده العادي".

- "قصدك إيه؟"

- "قصدي إني كنت بستحمله بس عشان خاطركم".

نفس ما قالته (أسماء).

قال (فارس) وهو يتعمد إستثارته بجملته المكررة:

- "بس برضه أنا حاسس إن فيه حاجة كدة مضايقاك منه".

صمت (عمرو) قليلًا وكأنه يزن كلام (فارس) المستفز ثم قال في صوت أقرب للخفوت:

- "بيني وبينك.. أصل أنا كنت عايز أتقدم ل(عزة) من زمان وكان هو مانعني".

قال (فارس):

- "إزاي؟"

قال (عمرو) وهو يشعل سيجارة وكأنما إستفزه (فارس) بكلام يريد أن يتخلص منه:

- "بصراحة.. أنا كنت بحب (عزة) من زمان.. تقريباَ من أول سنة في الكلية، ولكني كنت متردد دايماً إني أكلمها.. شغل عيال بقى ما انت عارف، لحد ما فضفضت بالكلام مع واحد صاحبي فقال لي إني أصرف نظر عن الموضوع لأنها مرتبطة ب(يحيى).. بالبلدي كده كأنه متكلم عليها وهي متقبلة الأمر، وده دفعني إني أتعامل معاها رسمي لمدة تلات سنين.. زمايل وبس".

- "إيه الكلام الفارغ ده! إحنا طول عمرنا عارفين إن (يحيى) و(عزة) مفيش اتنين يختلفوا عليهم.

قال (عمرو) وهو ينفث بدخان سيجارته:

- "أنا عارف (عزة).. بس ده اللي كان حاصل وقتها".

فقال (فارس):

- "وبعدين مين اللي قال لك الكلام ده؟"

أشاح بيده وهو يقول:

- "مش مهم مين.. المهم إنه إتقال".

-"غريبة الكلام ده".

- "ساعتها كان الكلام منطقي، خصوصًا إني حاولت أعرف حقيقة الموضوع ده، ولكن ما عرفتش آخد عقاد نافع".

ثم سأل (فارس) السؤال الذي كان يتحاشاه:

- "و(عزة) رأيها إيه في الكلام ده؟"

- "الحقيقة (عزة) رأيها في (يحيى) مخالف لرأيي، يعني.. زي أي واحد فيكم".

- "قصدك إنها كمان ما إدتكش عقاد نافع؟"

- "لا مش كدة.. هو اللي كان مبادر ناحيتها مش هي".

لم يعرف (فارس) بعدها كيف مر الوقت بسرعة.. فقد أخذه (عمرو) في أحاديث أخرى جانبية حول المعيشة وعمله ومرضاه. قدّر أن هذا أحسن، فلم يرغب (عمرو) بالإستمرار في الحديث في هذا الأمر بشأن (يحيى).

لا يذكر (فارس) أنه قد شاهد (يحيى) و(عمرو) سويًا ولو في حديث جانبي.. كان يظن أن هذا أمرًا عاديًا، فلقاءاتهم جميعًا كانت لا تزيد عن المرة أو المرتين أسبوعيًا على أقصى تقدير في السطوح.

أنهى (فارس) جزءًا كبيرًا من لوحة (عمرو) الذي أصر على رؤية ما أنجزه (فارس) فيها. فرآها وسعد بها كثيرًا ورغب في أخذها، إلا أن (فارس) وعده بأنها سيعطيه إياها لكن بعد إستكمال بعض الرتوش، وأيضًا بعد رسمه ل(عزة)، لكنه قال له وهما يقومان سويًا:

- "لو الصورة عجبتني هأعلقها عندي هنا في العيادة".

كان (فارس) يحب (عمرو) ولكنه ما انفك يتصرف كي يحول هذا الحب إلى نفور.

لذا أنهى (فارس) عمله في سرعة وتعلل بوقته الضيق وعمله الذي ينتظره.

كان (فارس) يسمع عن شطحات الرسامين الغامضة.

ينظرون إلى شيء.. ثم يقومون برسمه على النحو الذي يرونه.. فترى للشيء الواحد صورا عديدة بأيدي الرسامين.

لم يفهم (فارس) هذا الموضوع قط إلا عندما إلتقى ب(عمرو) الليلة.

فأثناء رسمه له، حاول جاهدا عدة مرات إثناء يده عن رسم سحلية.

(أحمد عبد الكريم)

نحيف الوجه والقوام، أسود الشعر.. مع ميل خفيف إلى الصلع في مقدمة الرأس. متوسط الطول، أبيض البشرة أقرب إلى الشحوب مع نمش خفيف على خديه.

إذا رأيته من بعيد لم تلتفت إليه، وإن اقتربت منه تشعر وكأنك رأيته من قبل، في إحساس غير منفر ولا محبب. ثم ما يلبث من أن يجعلك تلتفت إليه وتتجاوب معه.

فموهبته التي لا يختلف عليها أحد، هي جذب الناس من حوله إليه.

فيأسرك بجاذبيته الشديدة.. ثم يغذي هذه الجاذبية بإشعارك أنك أقرب الناس إلى قلبه وأنك ذو مكانة متميزة، فتسعد بحضوره وتغفر له زلاته وتتجاوز عن هفواته معك، خاصة إن لم يكن هناك ثالث معكما.. فتستمتع بصحبته أشد الإستمتاع، وتسأل نفسك كلما إلتقيته.. كيف ستكون حياتي بدون هذا الشخص؟

هكذا يبدو الأمر من الظاهر.. بريق ولمعان وتألق.

أما عيوبه فإنها تتلخص في جملة واحدة.. أنه إذا تحدث، لم يقل إلا كذباً وزوراً، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان.. وتتلخص الجملة بدورها في كلمة واحدة.. النفاق.

فهو كالرياحين والعطور.. طيب الريح والشذا ومُر المذاق.

ولا يخبِر من الناس هذه الحقيقة إلا القليل، بل الندرة..

ولكن كما قلنا فجاذبيته الآسرة تطغى على هذه الحقيقة المُرّة. ومن خبر هذه الحقيقة.. إبتعد عنه في سكون وآثر السلامة. فالجامع بين نقيضين كالأبيض والأسود، لا تدري بأي لون سيكون معك.

ربما كان السبب في هذه النقائص، شعوره الدائم بالدونية، خاصة مع وجود بعض الآخرين الذين يُكال لهم المديح والثناء طوال الوقت.. فتشتد غيرته وتنفث منه أبخرة الحسد والغيرة.

أما مناط حياته.. فهو ما لا يفعله الآخرون..

فإن أضطرته الظروف لسلوك نفس الدرب مع الآخرين أو إقتناء نفس الشيء، أعطى للأمر مسمى آخر وأضفى عليه صفات أخرى.

فمثلًا.. يسمع الناس الموسيقى العربية قديمها وحديثها، فيتجه للموسيقى الغربية.

وإن وجد من يحب موسيقى البوب أو البلوز.. ذهب إلى الجاز أو الميتال.

إذا أحب الناس فيلمًا شيقًا.. أبدى إمتعاضه وذهب إلى فيلم آخر مجهول الهوية أو ضعيف الشهرة ليبدي إعجابه به.

ولكي يشعر بالتميز.. أضفى على حديثه في البداية بعض الكلمات الإسبانية التي لم يستمر في تعلمها طويلًا- لجهل المصريين بها- فذهب إلى الإنجليزية وأحرز بها تفوقًا ملحوظًا، وإن لم يخل ذلك من التعرض للإتهامات المتعددة الخاصة بهذا الشأن من التعالي أو إضفاء صورة العارف العالم.. ولكنه كان دومًا يشير إلى أن هذا

الأمر مرجعه إلى أنه مكث في الولايات المتحدة الأمريكية نحو ثلاث سنوات في بداية فترة مراهقته عندما كان والده يعمل هناك، مما أضفى عليه هذا الطابع الثقافي! وإذا اكتشف أحد أن والده لم يذهب إلى أميركا من الأساس، نقل همسًا بأن حقيقة الأمر خلاف بين والديه انتهى بترك والدته للبيت ثم سافرت وهو معها إلى خاله المقيم هناك، بينما والده يعمل في عجمان بالإمارت العربية المتحدة ما يقرب من ربع القرن ووالدته لم تغادر مصر إلا إلى والده أو للحج أو العمرة!

طبعًا الأمر من أوله إلى آخره كذب في كذب.

يحكي لك القصة، ويحكي معها أيضًا ما يسد ثغراتها التي من شأنها أن تفجر التساؤلات العديدة.

إذا فتحت دولاب ملابسه، لوجدته متخمًا بشتى صنوف الملابس والثياب.. حيث أنك نادرًا ما تراه بنفس الثياب مرتين.. وكذلك بالنسبة للأحذية العديدة والتي تراصت بجوار الدولاب. وكلها طبعًا من الماركات العالمية.. فيقول إن هذا إشتراه من باريس وهذا أهدي إليه من صديقته الإنجليزية وهذا من شقيقته التي تحضر الدكتوراه في الهندسة الوراثية من ألمانيا.. إلخ.

إذا ذهبت إلى مكتبته.. وجدت عددًا لا بأس منه الكتب- باللغة الإنجليزية طبعًا- والتي لم يتصفح منها إلا أقل القليل. فهو لا يفهم سوى ما يقرأه بالإنجليزية، أما العربية فهي تسبب له صداعًا وتفقده التركيز!

وهذا هو بالطبع ما دفعه لدراسة الطب ، لأنه على الأقل يُدرس باللغة الإنجليزية..!

وتبقى معه حتى النهاية جاذبيته المكللة بألسنة اللهج والمديح.

ما زال في مرحلة العزوبية..

ورغم أن الأعزب دائمًا موضع للتساؤل.. لماذا لم يتزوج حتى الآن- مع كثرة التعليلات المستفزة حوله، بدءا من حب خفي ومرورًا بالإتهام بالمثلية الجنسية وإنتهاءَا بالعجز الجنسي- فإن التعليل الوحيد الذي صاحبه دومًا في أغلب الوقت كان أنه (بتاع نسوان) ولكن لا يدري به أحد.. فهو أستاذ ورئيس قسم في التكتم بشأن هذه الأمور، وهذا ليس بصحيح. وقد ساعد على إنتشار هذا الأمر، حرصه على وضع صوره بجانب فتيات على صفحته بالفيس بوك.

بعد أن ترك (فارس) (عمرو).. ذهب إلى بيته ثم إلى جهاز الكومبيوتر ومن خلاله إلى صفحة الفيس بوك، والتي لم يتصفحها منذ ترك البحث عن (يحيى) بلا جدوى.

(أحمد عبد الكريم) لديه بالفعل على قائمة الأصدقاء على الفيس بوك، وهو يعلم أنه في السعودية عند شقيقه الأكبر منذ أربعة أعوام تقريبَا.. إلا إنه يصر على العكس ويكتب في قائمة البيانات على صفحته على الفيس بوك بأنه يدرس الزمالة البريطانية في إدنبرة بإسكتلندا. (فارس) يعلم الحقيقة، ولكن الآخر مُصِّر على موقفه. على الأقل أمام من لا يعرف.

وفي النهاية تعلل بأنه يضطر للإقامة بجانب شقيقه المريض كي يرعاه ويرعى مصالحه، أما بالنسبة للدراسة في إسكتلندا فهو تارة يؤجل إمتحانه وتارة يتعلل بالرسوب في الدور الأول.. إلى آخر الحجج التي لا تنتهي.

بعث إليه (فارس) برسالة بث فيها رغبته في الحديث إليه عبر كاميرا الفيديو لأنه يفتقده كثيراً وبه رغبة ملحة للحديث إليه. ولم يُضيع أحمد وقتًا في الرد عليه، فسرعان ما رد عليه واتفقا على اللقاء قبيل منتصف الليل بقليل.

كان أحمد في الأساس صديقًا حميمًا ل(عمرو) وسرعان ما تعرف على الشلة وسرعان ما دخل قلوبهم جميعًا لتلقائيته وبساطته وجاذبيته الفريدة. ولكنه كان يراهم على فترات بعيدة كلما سنحت الظروف.

وهاهما الآن.. (فارس) و(أحمد) وجهًا لوجه من خلال الإنترنت.

أخذ (أحمد) ما يقرب من ثلث الساعة أو أكثر في الحديث إلى (فارس) دون أن ينبس الأخير ببنت شفة.

أخذ يصف له الحياة في السعودية مع شقيقه والتي هي أشبه بالمكوث في بيتٍ خالٍ من الأثاث إلا من فراش للنوم وسجادة للصلاة وصنبور للمياه للوضوء..

لم يجد (فارس) أي فرصة لقطع كلمات أحمد المتدفقة بلا توقف، إلى أن سأله عن الأصدقاء وعن الأحباب، فانتهز (فارس) الفرصة فأخبره عن اللقاء الذي تم في سطح منزل (نورا) و(ياسين) ودعوة

العشاء العامة، لكنه لم يخبره عن تنقله المتقطع بينهم -في ظاهر الأمر ليرسمهم- إلى أن تطرق (فارس) إلى بغيته فقال ل(أحمد):

- "قابلتهم كلهم ما عدا (يحيى شرف الدين)".

فقال (أحمد) عبر الشاشة:

- "Oh my God!أخباره إيه صحيح؟"

- "ولا أعرف عنه أي حاجة".

- "ما حاولتش تتصل بيه؟"

- "للأسف ما لقيتلوش أي تليفون.. ده حتى عنوانه ما أعرفوش".

- "إزاي هو مش ساكن جنبك؟ قصدي يعني عند بيتك القديم جنب (ياسين) و(نورا)؟"

- "الحقيقة ما أعرفش".

- "أنا فاكر إنه ساكن في مصر الجديدة لأنه مرة ركب المترو من محطة سانت فاتيما بعد ما قمنا من على القهوة".

- "أنا برضه فاكر كدة لكن ما أعرفش فين".

- "إحنا إتقابلنا كذا مرة في كافيتيريا قرب ميدان سفير، وقاللي إنه بيته قريب منها. كنت في سنة الإمتياز، ومن بعدها ما افتكرش إني شفته".

- "القهوة دي كانت قريبة من بيت (أيمن)".

ثم استطرد:

- "بالحق.. مش ناوي تتجوز يابني ولا إيه؟"

رد (أحمد) ضاحكًا:

**- "عندك عروسة ليّا؟"**

**فقال (فارس):**

**- "العرايس كتير بس إنت قول يا جواز".**

**ثم إستطرد قائلًا:**

**- "بالحق.. إنت مش كنت ماشي في موضوع خطوبة مع (رشا) اللي جت عندنا مرتين تلاتة لما كنا على الروف؟ أخبارها إيه دلوقت؟"**

**رد (أحمد) في لهجة مشوبة باللامبالاة:**

**- "I don't know. كان مشروع خطوبة وماكملش".**

**- "يا خسارة ، مع إنك كنت بتحبها قوي.. أنا فاكر الكلام ده".**

**- "وهي كمان كانت بتحبني جدًا. She was so much in love with me لكن نعمل إيه في أهلها وأهلي... الله يسامحهم جميعًا. عقدوا الدنيا لحد ما فرقونا عن بعض".**

**- "وهي أراضيها فين دلوقت؟"**

**- "مش عارف ومش عايز أعرف. I don't even care"**

**شعر (فارس) بأن الموضوع بدأ يأخذ منحى آخر. فهم بسؤال أحمد عن (يحيى) مرة أخرى إلا أن الآخر لم يعط (فارس) الفرصة، فاستطرد بالكلام عن (يحيى) في ذكريات يعرفها (فارس) جيدًا. فلم يخرج بجديد.. ولكنه قال:**

**- "بس أكيد إنت تعرف حاجة عن (يحيى) محدش يعرفها غيرك".**

- "إممم.. أنا فاكر إنه كان بيحب واحدة وكان عايز يتقدم له بس ما حصلش نصيب".
قال (فارس) في إهتمام:
- "مين؟"
- "مش عارف.. بس هي واحدة قريبته ومعاه في الكلية".
كان هذا يناقض ظن (فارس)، لكن أحمد) أكمل قائلًا:
- "هو بصراحة كان فيه عيب واحد وحش قوي".
- "اللي هو إيه؟"
- "نسوانجي من الدرجة الأولى".
عقد (فارس) حاجبيه في دهشة وقال:
- "إيه الكلام الغريب ده؟"
- "هي دي الحقيقة. أنا كنت كل ما أقابله في الجامعة ألاقيه مع واحدة جديدة".
سخر (فارس) في نفسه من كلام أحمد وهو عالم بحقيقته فقال:
- "وده شيء يخليك تقول عليه إنه بتاع نسوان.. ما يمكن زمايله!"
- "هو أنا جبت حاجة من عندي.. اللي قاللي كدة كمان زمايله".
لا أحد يعرف على وجه التحديد زملاء (يحيى) في كليته، بل لا يعرف أحد على الإطلاق إن كان له أصدقاء آخرين من خارج الشلة. هكذا قال (فارس) في نفسه.

- "بس ده ياما خرجنا مع بعض سوا وما شفناش عليه حاجة من دي. وكمان كان بيقابل بنات شلتنا- اللي بقوا ستات دلوقتي- وبرضه ما شفناش عليه حاجة!"

- "إنت عايزه يقولك هو بيعمل إيه؟ داري على شمعتك تقيد. وبعدين هو لا يجرؤ إنه يعمل حاجة كدة ولا كدة مع أي واحدة من بنات شلتنا.. لو كان ده حصل ما كانش كمل في وسطكم يوم واحد".

- "عندك حق. بالمناسبة ما عندكش صورة له؟"

- "إمم. مش فاكر. على العموم الصور كلها في مصر".

لم يتوقع (فارس) أن يجد له صورة أصلًا. أصبح متيقنًا من هذا الأمر".

حمد (فارس) الله في سره بأن الإتصال ب(أحمد) لم يكن وجهًا لوجه وأنه عبر الشاشات فقط وإلا لكان الإرهاق مضاعفا.

ولا حاجة له أيضًا بتذوق شيئًا من صنع يده.. فمع توقف عقله عن العمل، كان (أحمد) مازال مستطردًا في الكلام بلا توقف.

ولكن لابد للتساؤل أن يحتل مكانًا.. ما الذي كان سيتذوقه (فارس) من صنع (أحمد)؟

بالتأكيد طعم مختلف ومذاق فريد لم يجربه من قبل.

*****

## (عزة إسماعيل الغندور)

قام (فارس) بالإتصال بصديقه (أحمد نزار)، وأخبره بالإرتباك الذي أصابه، وأن الأمر تحول من البحث عن شخص إلى البحث عن حقيقة.. بحث عماده العناد!

أين الصدق من الكذب!

لم يشأ (نزار) أن يعرف ما حدث مع (فارس)، وقال إنه سيستمع إليه عندما ينتهي من الأمر كله.. ثم ختم بقوله ل(فارس) "لكي تصل للحقيقة ، تتبع الأكاذيب، ولازم تحاول إنك تدوق السيء مع الطيب".

لا يعرف (فارس) أين سمع هذه الجملة من قبل، ولكنها صادفت هوى في نفسه..

فاستحضرها وهو ذاهب لمنزل (نورا) و(ياسين) بعد ما تلقى إتصالًا هاتفيَا من (نورا) تخبره بأن (عزة) ستكون في منزلها ظهراَ قبيل المرور على مدرسة أولادها.

(عزة إسماعيل الغندور).

لشدة ما يرغب (فارس) في لقائها.

جميلة جدًا، محترمة جدًا، مرحة، عزيزة النفس..

ما أن تتردد تلك الكلمات حتى تسطع صورتها في قوة أمام محدثها أو من يسمعها.

كانت كالشمس المشرقة.. ما أن تدلف إلى أي مكان حتى تفيض بحضورها على المكان كله، بحضورها القوي ونظرتها اللامعة

وإبتسامتها المضيئة والتي تنقر غمازتين على وجنتيها المشربتين بحمرة خفيفة على بشرتها البيضاء.. وقد زين من ذلك أيضًا طابع الحسن على ذقنها. وزاد الحجاب الأنيق الذي تزين به رأسها من وضاءة وجهها الأبيض.

شمس مشرقة.. هذا هو الوصف الجامع بإختصار.

وربما كان هذا الحضور القوي الباسم- والذي يُلقى أيضًا في قلوب من يروها لأول مرة- ما يجعل القلوب تهوى عند قدميها عند كل مسير، وقد ظن كل منهم أنه قد وجد ضالته المنشودة.

تذكر (فارس) ما قاله (أحمد نزار) له ذات يوم عندما سأله عما يميز المرأة في أعين الآخرين، فقال له إن جُل الرجال يرغبون في النساء من هن على جمال ممثلات السينما وتقوى الصحابيات!

ولكن كما ذكرنا آنفا.. كانت كالشمس.. فكما كان البعد عنها فيه الهلاك من البرودة، كان الإقتراب أيضًا فيه الإحتراق.

وهذا هو حالها مع الناس.

كانت كالشمس.. حنون حين تطلع، قاسية حين تسطع، حزينة حين تغيب.

وبالرغم من هذه الهالة الرومانسية المحيطة بها، إلا إنها كانت عنيدة، عملية الطباع، تكره الأوهام والخيال والغموض، وتؤثر عنها الحقيقة والوقائع والصراحة المتناهية.

ولقد عانت من هذا التناقض بين ظاهرها وباطنها.. عندما أحبت للمرة الأولى..

إحتفظت بهذا الأمر لنفسها فقط، على الرغم من أن المقربين منها يعلمون في قرارة أنفسهم أيضًا أنها تكتم حبًا قديمًا لم تفصح عنه قط.. خاصة صديقتيها المقربتين (أسماء) و(نورا) وزوجها (عمرو).. ولكن شخصيتها القوية منعت أي أحد من مجرد الإشارة.

كان حبًا سريع التأجج.. سريع الإنطفاء. فلم يتجاوز حبها سوى ماكان يعتمل في نفسها.. ولم تدع للطرف الآخر مجالًا للتقدم قط.. فكانت تصد أكثر مما ترد.

تبغي ولا تمكّن، تفتح الطريق ولا تعطي الإشارة. فانصرف عنها من أحبته في صمت عندما لم يجد منها تجاوبًا ملموسًا أو حتى محسوسًا. وقد لامت نفسها كثيراً بعد ذلك ومازالت.. كلما طفا الأمر من أعماق قلبها إلى سطح الذكريات.

فمع تنقلها في مراحل الحياة المختلفة، صاحبتها تلك الذكرى في ركن خفي وسط متاع رحلتها.

ومن عجائب تناقضها أيضًا، مصاحبتها لمن هن على نقيضها تمامًا في العادات والطباع والأخلاق. وهذا الأمر يظهر جليًا بلا إيضاح عندما تجدها جالسة مع صديقة أخرى.. هي بكامل ثيابها المحتشمة، ورفيقتها تكشف مثلما تستر أو أكثر.. وهن كثير!

أما عند المحطة الكبرى في حياة كل أنثى.. مرحلة الزواج ، فقد كان إختيارها قائمًا على عقلها وما يمليه عليها، فلم تدع للقلب مجالًا هذه المرة، فكفاها ما سببه لها من إيلام.

وكان السبب القائم على إختيارها ل(عمرو) أولًا.. هو حبه الشديد لها.

لم تشأ الإقرار بأن قلبها قد مال إليه- لأنها تستشعر بالفعل أحاسيس العديد من المحبين والمعجبين من حولها.. ولكنها قد إرتاحت لهذا الأمر، مثلما تجاهلت أيضًا أنها تماثله في السن تقريبًا، بل وتكبره ببضعة أسابيع فحسب ولكنها لا تفصح عن هذا الأمر أبدًا.

فقد كان (عمرو) زميل دراستها وزميلها في سكشن العملي بالكلية طوال فترة الدراسة.. أي أن الألفة والود حاضرين منذ البداية.

وقد شعرت بالفعل أنه رجلها المنشود عندما قام والدها برفضه في باديء الأمر، لا لشيء صريح، ولكن هذا هو ديدن والدها.. الإعتراض دون إبداء الأسباب، ولكن ديدنها أيضًا كان العناد.

فظلت متمسكة بموقفها تجاه (عمرو) خاصة عندما لم يُبد أحد من أشقائها الإعتراض عليه. فقالت لوالدها في حسم:

- "مش هتجوز حد غصب عنكم ولا من وراكم، لكن في نفس الوقت مش هتجوز حد غير (عمرو)".

وفجأة بعد فترة أخبرها والدها بموافقته مبدئيًا على خطوبة لفترة يسيرة قبل الزواج، وقد كان. ثم تم الزواج بعد أشهر يسيرة كان (عمرو) يعمل فيها على قدم وساق خشية أن يقوم والدها بتغيير رأيه.

سارت حياتها على نفس الوتيرة الروتينية كما ينبغي لمن تكون زوجة وأمًا، ولم يتبق لها ما تستشعره حول نفسها سوى شيئين..

تأثيرها القوي على الناس، وأول حب لها، الذي تستحضره كلما خلت بنفسها من دوامات الحياة التي لا تنتهي.

تخلو بنفسها وتغمض عينيها وتحاول أن تستحضر صورته حتى تستلقي في فراشها في وهن.. وألم رقيق يخدر جسمها.. فتنكمش على نفسها وتلتقي به مرارًا وتكرارًا وتأتي معه كل ما كان ممنوعًا.

تعانقه، تقبّله، تمارس معه الحب في كل مكان.

المتعة تغلفهما سويًا، فلا مجال لكدر أو تعكير صفو أبدًا. هكذا اللقاء دومًا.. إما في مخيّلتها في اليقظة أو في طيف أحلامها في المنام.

لاتفكر في زوجها ولا أبنائها.. فهل عليها من حرج، أو هل يجعل منها ذلك إمرأة سيئة؟

لذلك.. أسرفت في الحب لزوجها والعناية به بشكل غريب، وكأنها تكفِّر عن خطيئة تحاول معها نسيان حبها القديم.

إنها تمارس واجبها كزوجة وأم على النحو الأمثل والأكمل، وتحب زوجها وأطفالها حبَا يفوق الوصف.. وبالرغم من ذلك لم تستطع نسيان حبها الأول قط.

أثناء فترة الدراسة لم تكن تستريح عندما تكون مع صديقاتها ومعهن أشخاصا من الجنس الآخر.. إلا أن إرتباطها بمجموعة أصدقائها المقربين جاء تدريجيَا.. بدءا من أخذها لدرس خصوصي

في السنة الأولى- من أحد زملاء الدراسة لشقيقها الأكبر يعمل معيدًا في الكلية- في غرفة السطح الفريدة في بيت (نورا) و(ياسين)، ثم تعرفت بدورها على (فارس) ثم انضم لهم (عمرو) تدريجيًا. أما (أحمد عبد الكريم)، فكان لا يأتي إلا مع (عمرو) عند أوقات راحتهم. أما بالنسبة ل(يحيى) فكان وجوده دائمًا متعلقًا بأحد الشباب.. فإما آتيًا مع (ياسين) أو (فارس) أو حتى (أيمن).
كانوا معا أشبه بأسرة صغيرة.
غرفتها لا تختلف كثيرًا عن غرفة (أسماء)، وإن كانت أكثر نظامًا وهدوءًا.
أثناء الدراسة.. تجد إلى جانب كتب الدراسة والمراجع، روايات عديدة لأجاثا كريستي وروايات عبير الرومانسية وبعض كتب الأبراج.
عملت في الطب لفترة يسيرة بعد سنة الإمتياز، وحصلت على دبلوم في طب المخ والأعصاب بعدما كان من المستحيل أن تجد وقتًا لدراسة الماجيستير أثناء فترة بداية زواجها من (عمرو).

***

دخل (فارس) إلى العمارة وقد تجاوز سلالمها في سرعة إلى أن أصبح على سطح المنزل. كان الطقس صحوًا. دخل فوجد (نورا) و(عزة) على كرسيين أمام باب غرفة السطح الأثيرة.

صافحته (نورا) كالعادة بحرارة وصافحته (عزة) بعينيها مصافحة تغني عن ألف مصافحة بالأيدي وبإبتسامة مشرقة أجمل من ألف عناق.

بعد تبادل السلامات والتحيات والتحدث عن الصحة والأهل والأخبار المكررة، هبت (نورا) واقفة للذهاب لإعداد شرابًا ل(فارس)، إلا أنه طلب أن تقوم (عزة) بإعداده.. فهذا هو أجره قبل أن يبدأ عمله في رسمه، ومن المستحسن أن يكون فنجانًا من القهوة.

ضحكت (نورا) و(عزة) لجملة (فارس) وقامتا بالفعل.. (نورا) قالت إنها ستنزل لشقتها للبدء في إعداد طعام الغداء قبل مجيء (ياسين). أما (عزة) فقد توجهت لغرفة السطح لإعداد القهوة على الموقد الصغير، وقد تبادلت مع (فارس) حديثًا وديًا من خلال باب الغرفة.. هو بالخارج وهي بالداخل. وسرعان ما وجدها (فارس) قد أتت الهويني بقامتها الفارعة الممشوقة وهي تحمل صينية القهوة وطبقًا من كيكة الشيكولاتة. فقال لها:

- "الكيكة دي جت منين؟"

قالت وهي تضع الصينية على المنضدة فيما بينهما:

- "من عندي، كنت عملتها إمبارح وقلت أدوقهالك مع (نورا)".

وكأنها وفرت عليه أعباء كثيرة.. فقال في إرتياح وهو يمد يده نحو طبق الكيك:

- "من يد ما نعدمها".

وأكل القطعة الأولى في بطء..

هذه هي (عزة) كما هي.

شعلة من الطاقة لاتنطفيء، إستشعر من خلالها حضورًا قويًا دافئًا وكأنه يزيد من حرارة جسمه.. إلا أنه كان هناك الكثير من القلق والتردد.

وتساءل.. هل كان هذا هو حالها بالأمس أما هذا هو حالها طوال الوقت؟

لن يعرف (فارس) المزيد، خاصة إذا كان هناك تكتمًا..

الشعور الوحيد الذي لا مذاق له. التكتم..

كيف عرف ذلك؟ لأنه يتكرر كثيراً كالماء.. لا طعم ولا لون ولا رائحة.. لكنه حاضر وموجود.. وكأنه لا غنى عنه بجانب أي مذاق آخر.

قالت (عزة) وقد اتخذت مقعدها:

- "(عمرو) بيقولي إن رسمك حلو قوي".

- "ربنا يخليكي.. على العموم الصور كلها هوزعها لما نتجمع كلنا مع بعض إن شاء الله".

- "على إمتى كده يعني؟"

- "أنا بقول نتجمع في العيد الكبير.. الكل هيبقى أجازة".

هزت رأسها موافقة ثم قالت:

- "يا ترى مين لسه مارسمتوش؟"

- "غيرك إنتي.. ما فضلش غير (ياسين)".

سكت لثانيتين ثم قال:

- "و(يحيى).. بس ألاقيه فين؟"

- "آه صحيح.. لسه كنت بتكلم أنا و(نورا) عليه قبل ما تيجي. ما تعرفش أخباره إيه؟"

- "الحقيقة سألت عليه الكل تقريبًا، لكن للأسف محدش معاه تليفونه ولا حد عارف مكان بيته".

- "عنوان بيته؟! ما هو ساكن جنبي".

- "جنبك فين!؟"

- "جنب بيت بابا أقصد".

- "يعني تعرفي عنوانه فين بالضبط؟"

- "لأ مش بالضبط يعني.. أنا كنت ساكنة ورا الميريلاند.. قريب من بيت (أسماء)، وهو تقريبًا ساكن في المحطة اللي بعدي في روكسي".

- "وإنتي عرفتي إزاي؟"

- "أصلنا ركبنا المترو مع بعض كام مرة زمان، ولما قلت له أنا ساكنة فين قاللي إنه المحطة اللي بعديا على طول".

ثم سألت:

- "بس مش غريبة إنك ما تعرفش عنوانه؟!"

- "أفتكر إني سألته مرة زمان بيته فين فرد عليا وقاللي مش هلاقيه فيه.. ماهو دايمًا معانا".

قال الجملة الأخيرة كاذبًا وبسخرية مريرة.

كان (فارس) قد إنتهى من تناول طبق الكيك وفنجان القهوة الذي لم يختلف كثيراً عن طعم الكيك.. (عزة) وكثير من القلق.
بدأ (فارس) بالرسم بالفعل.. كانت يده قد إستعادت رشاقتها وسرعتها في الرسم بعدما بدأ في رسم أصدقائه. قال ل(عزة):
- "يا ترى فاكراه كويس يا (عزة)؟"
- "آه طبعا فاكراه.. كان إنسان محترم جدًا".
- "عمره ما رذّل عليكي قبل كدة؟"
- "(يحيى)؟ لا أبدًا. ليه بتقول كدة؟"
- "يعني لما جينا الدش بارتي هنا وما قابلناهوش ومحدش كمان جاب سيرته، قلت أكيد شايلين منه".
هزت (عزة) رأسها نفياَ:
- "لا أبدًا ما حصلش".
شعر (فارس) أن كلام (عزة) مبتور، ينقصه شيء ما.. كان أشبه بطعام مسلوق ينقصه الكثير من التوابل. لكن (عزة) إستطردت قائلة:
- "المهم إنت شفت منه حاجة وحشة؟"
- "لا أبدًا. رأيي زي رأيك بالضبط، ولكني زعلان من نفسي، إنه إختفى كدة من حياتنا وماسألناش فيه ولا نعرف عنه أي حاجة".
- "أنا برضه حاسة بكدة.. ده بابا حتى سألني عنه رغم إنه شافه تقريباَ مرة واحدة".
قال (فارس) وهو يعمل في سرعة:

- "مع الأسف معنديش حتى صورة ليه".

- "ليه؟ وصورنا مع بعض؟"

- "كان هو اللي بيصور دايماً".

صمتت (عزة) وكأنها تدرك هذه الحقيقة لأول مرة ثم قالت:

- "ما تعرفش ترسمه؟ .. من الذاكرة يعني".

- "ما هو ده اللي مجنني.. صورته في دماغي متشوشة على الآخر.. مجرد خيالات".

- "تصدق إن أنا تقريباَ حتى مش فاكرة شكله بالظبط!"

شعر (فارس) بأن (عزة) تريد الحديث عن (يحيى) مثلما يريد.. ولكن مع الأسف كانت جعبة الذكريات المشتركة بينهما فقيرة المحتويات. فقال:

- "تفتكري آخر مرة شفتيه كان إمتى".

فردت في سرعة:

- "الحقيقة مش فاكرة خالص".

لم يخرج (فارس) بجديد.

مازال يذكر عندما كانت (عزة) تجلس في نفس المكان وهي تتصفح أوراقها الدراسية بجانب (أسماء) أو (نورا) أو (عمرو).. ثم تنصرف مبكرة قبل الجميع.

لا يذكر كيف كانوا يمضون الوقت ولا ما هي الأحاديث التي كانوا يتبادلونها في هذا المكان.

**لا يذكر فقط سوى المرح الذي يجمعهم، والراحة التي يحملونها عند إنصراف كلٌ إلى حال سبيله**

**لم تمض ثلث الساعة حتى استأذنت (عزة) كي تلحق بميعاد خروج أولادها من المدرسة، ولكي تعرج على (نورا) أولًا وتسلم عليها.**

**تأملها (فارس) وهي تمشي وهو يحمد الله في سره بأنه قد أنهى الصورة تقريباَ قبيل إنصرافها، وبأنها مازالت محتفظ بنضارتها في ظل راو مثل (عمرو).**

*****

(ياسين علاء الفاتح)

وسيم الوجه حليقه، رشيق الجسم، أميل إلى النحافة، ذو شعر أسود كثيف مصفف بعناية.

إن رأيته بالبدلة وربطة العنق، لظننته أحد رجال الأعمال أو الحراس البودي الجارد. وإن إرتدى ملابس رياضية خفيفة، لم تظن عنه سوى إنه "إبن ناس" أو أحد نجوم السينما. حاصل على بكالوريوس التجارة. بمجرد أن أنهى دراسته، سارع للعمل مع أحد أصدقاء والده في تجارة مواد البناء. فسار معه الأمر بسلاسة إلى أن استقل بعمل خاص بمفرده قبيل إرتباطه ب(نورا) مباشرة.

نشيط كالإعصار. لا يعرف من العمل سوى ما تقتضيه الحركة طوال الوقت، على عكس آخرين لا يعملون إلا في أماكن محدودة كالمتاجر والمكاتب.

أعطِه عملًا خارج المكاتب المغلقة، وستجد منه أفضل النتائج.

والده يعمل مرشدًا ملاحيًا في قناة السويس، بينما تعمل والدته مُدرّسة لتعوض غياب والده عن البيت أغلب الوقت.

وحتى لا يكون بمفرده أبدًا، دأبت والدته على أخذه- في الأجازة الصيفية- ويومي الجمعة والسبت أثناء الدراسة إلى النادي الرياضي ليظل جُل وقته هناك في التمرينات الرياضية من الكاراتيه والسباحة وكرة القدم، حيث تظل الأخيرة هي معشوقته الأثيرة.

وبالرغم من ذلك، إلا إنه قليل الأصدقاء نظراً لعوامل شتى جذبته عن ذلك الأمر.. ولكنه محبوب بشكل كبير في وسط كل من يعرفهم ويعرفونه من الأقارب والجيران وفي شلة النادي التي يذهب إليهم بصفة أسبوعية يوم إجازته ليلعب كرة القدم.

من لا يعرفه لا يُفتي عنه سوى بأنه (مصلحجي).

حياته غير المستقرة في البداية ووحدته وعوامل أسرية أخرى مؤثرة جعلته هكذا، إلا أن من اقترب منه وعرفه جيدًا يدرك أنه بالنسبة لموضوع المصالح والمنافع.. غشيم. وأنه في الأصل خجول ومنطو.

سبّب له إنغلاقه على نفسه، إنغلاقًا لعقله في كثير من الأحيان. فهو بشكل عام يرى نفسه أخرقًا في الواجبات الإجتماعية التي تقتضي تبادل التهاني لحضور حفلات الزواج أو المواساة في الجنائز أو حتى في إستضافة الضيوف في بيته.. ولولا المصالح المشتركة التي تربطه بالناس، وإيمانه بوجوب صلة الرحم وتدخل العنصر النسائي بمساعدة الأم والزوجة، لانقطع كل ما يربطه بالناس نتيجة لجهله بالأصول والواجبات..القريب منهم والبعيد.

حتى في زواجه من (نورا).

كان قد أحب (نورا) في صمت بالغ طوال فترة دراسته الجامعية. وعندما فاتحته والدته في موضوع الزواج.. لم ير في الصورة أو خارج إطارها أحدًا سواها.

لم يخبر (نورا) حتى بحقيقة حبه الصامت إلا بعد الزواج، على الرغم من صداقتهما البريئة في مرحلة الطفولة.

لا يبخل على نفسه أو على بيته بالمال قط.. ففي نظره لم يُخلق المال إلا لكي يُصرف أو لجلب السعادة لمن حوله. وإلا لماذا ضحى والديه بإستقرارهما الأسري؟

لا يرتدي إلا أفخر الثياب وأغلاها، والتي يحرص على شرائها من خارج البلاد، إما عند سفره أو من خلال من يعرفه عند سفره.

ولا يضع إلا أرقى العطور ولا يركب إلا أفخم السيارات. فهو يرى من وجهة نظره، أن الأغلى هو الأجود.

أيضًا.. يقتنع أشد الإقتناع إنه لا يحب (نورا) إلا لأنها الأجمل والأفضل والأكثر أناقة.

يتشابه كثيراً مع (عمرو درويش)، لكن مع إختلاف وجهات النظر وطريقة التفكير.

لا يمتلك الخبرة الكافية عندما يشرع في أي عمل.. ولكنها المقادير الطيبة هي التي تضعه نصب الأمور، بينما يعتبره الكثيرون ضربة حظ.. فهو جد محظوظ في أمور حياته ككل.. في العمل والزواج وكافة مراحل الحياة.

كانت قد سيطرت عليه فترة فكرة التمثيل، خاصة بعد تخرجه. فهو يريد أن يصبح نجما سينمائيا. فكان عندما ينفرد بنفسه في غرفته، يبدأ بتقمص أحد الشخصيات التي أعجب بها من خلال مشاهدته لها في أحد الأفلام وينفعل ويثور ويضحك ويبكي. ولكن هذا الأمر أخذ في التلاشي تدريجياَ عندما بدأ العمل في تجارة مواد البناء ثم امحى بعد الزواج. إلا إنه من وقت لآخر يداوم على مشاهدة أحد

الأفلام- خاصة الأجنبية، ويحرص على أخذ (نورا) من يدها- ولو مرة في الشهر- إلى السينما.
بعد إرتباطه ب(نورا) بوقت يسير، جاءته فرصة للعمل في الخارج في الكويت عن طريق أحد معارف والده. لم يتردد في القبول قط، واعتبرها فرصة كي يبدأ هو و(نورا) حياة جديدة سويًا بعيدًا عن صخب الأهل والأصدقاء والبلد ككل، خاصة وأن العمل لفترة محددة تجدد حسب شروط العقد. فمكثا سويًا خمس سنوات متصلة.

***

بعد أن انتهى (فارس) من رسم (عزة)، همّ بالإنصراف ولكن (نورا) أمسكت به وأخبرته أن (ياسين) قال لها أن تحتجزه عندها، فهو قادم في الطريق، كما أنها بالفعل "عملت حسابه" على الغداء.
أذعن (فارس) للأمر واتصل ب(منال) زوجته وأخبرها بالأمر المستجد. ظل (فارس) مع (نورا) في المطبخ لثلاثة أرباع الساعة يتنادران سويا ويتحدثان.
كان أغلب الحديث عن مرور (فارس) على (أسماء) و(أيمن) و(عمرو).
لم يتطرق (فارس) ل(يحيى) قط. فلم يعد هناك المزيد كي يقال عنه.

سمعا سويًا صوت صرير باب الشقة يُفتح ومن ثم صوت إغلاقه وبعدها صليل مفاتيح تسقط على زجاج مائدة السفرة.. لقد أتى (ياسين).

مشبعًا بالعرق والغبار والأتربة وأبخرة التعب، دخل (ياسين) عليهما في المطبخ. (نورا) أمام الموقد و(فارس) قاعدًا على كرسي المطبخ متكئًا بمرفقيه على المائدة. قال (ياسين) في إرهاق:

- "السلام عليكم".

- "وعليكم السلام". قالها (فارس) و(نورا) سويًا ثم أضاف (فارس) وهو ينهض معانقًا (ياسين):

-"... ورحمة الله وبركاته".

كان (ياسين) قد تحول إلى كتلة نحيلة من الغبار والعرق على جلده وعظامه.. فقال (فارس):

- "يا ساتر..! إنت خسيت أوي كدة ليه؟"

قال (ياسين) في إرهاق:

- "نعمل إيه بقى.. أكل العيش".

- "هو فين أكل العيش ده؟ ده لا عيش ولا مية".

ثم التفت ل(نورا):

- "إنتي مش بتأكليه ولا بتاكلي نايبه؟ ده انتي لما اتجوزتيه كان أتخن مني!"

قالت (نورا):

- "أبدًا والله. ده هو اللي أكلته بقت ضعيفة".

رد (ياسين):

- "بقول لكم إيه.. أنا هاخش آخد دش وبعدين نقعد.. فاضل كتير على الأكل؟"

ردت (نورا):

- "لأ خلاص.. مسافة ما هتخلص هتلاقيني غارفة الأكل".

ذهب (ياسين) للإستحمام وترك (نورا) و(فارس) كما هما في المطبخ.

أعادت (نورا) دفة الحديث مرة أخرى حول زيارات (فارس) لأصدقائهما ثم تطرقت هي لموضوع (يحيي)، وسألت (فارس) إن كان علم أي شيء بخصوصه.. فأخبرها (فارس) أن المحصلة تقريباً معدومة، سواء حول سكنه أو مقر عمله أو عن أي قريب له..

ثم أخبرها عن آراء كل صديق على حدة. فمثلًا كان هناك النفور من (عمرو) والنسيان من (أيمن) والتجاهل التام من قِبل (أسماء).. وفجأة قالت (نورا) ل(فارس):

- "إنت عارف إن (أسماء) و(يحيى) كانوا بيحبوا بعض؟"

لم يعد (فارس) مندهشًا.. كان قد بدأ في توقع وسماع أي شيء. قال:

- "هي (أسماء) قالت لي حاجة قريبة من كدة. قالت لي إن (يحيى) حاول إنه يقرب منها ويمشّيها معاها صحوبية".

قالت (نورا) بإبتسامة خافتة:

- "ده مش صحيح. الحقيقة إنهم كانوا بيحبوا بعض ولكن (يحيى) ما اتقدمش أي خطوة لقدام عشان يطلب إيديها ولما (أسماء) زهقت من الإنتظار فكت الموضوع بسرعة".

- "أول مرة أسمع منك الكلام ده".

- "تقريباً محدش يعرفه".

- "وليه ما قولتيهوش قبل كدة ليا؟"

- "أنا نفسي كنت ما أعرفش.. (عزة) هي اللي حكت لي الحكاية دي بعد جواز(أسماء) ب(أيمن) على طول".

- "طب ما (يحيى) طول عمره معانا وعمرنا ما حسينا منه ولا حتى من (أسماء) بأي حاجة زي كدة!"

أصبحت هذه الجملة مكررة وسخيفة كحلقة تليفزيونية معادة! هكذا قال لنفسه..

هزت (نورا) كتفيها ومطت شفتيها بأنها لا تعرف. ثم سألها (فارس):

- "طب بيني وبينك كدة وأنا برضه أخوكي، (يحيى) كانت علاقته بيكي إزاي؟"

- "معايا أنا؟ ما أنا قلت لك قبل كدة كان نِعم الأخ والصديق. ده أنا حتى كان نفسي أجوزه ل(يارا)".

- "(يارا) أختك؟"

هزت (نورا) رأسها أن نعم.. فقال (فارس):

- "دي بت عبيطة!"

ضحكت وقالت:

- "أهي بقى من كُتر ما اتكلمت عن (يحيى) قدامها وشافته قدامها كذا مرة معانا إتعلقت بيه".

- "وهو؟"

- "هو كان جد أكتر من اللازم قدامها. كانت بتحس لما تكلمه إنه أكبر منها بميت سنة".

- "هو مين ده اللي أكبر من مين بميت سنة؟"

قالها (ياسين) الذي وقف على باب المطبخ مرتديًا جلبابًا رمادي اللون بعدما تخلص بدوره من الصهد الناتج من العرق والغبار على بدنه قبل قليل. قال (فارس):

- "بنتكلم عن (يحيى)".

- "(يحيى) مين؟"

- "(يحيى شرف الدين). فاكره؟"

- "طبعا فاكره".

كان (فارس) قد وطّن نفسه على سماع الجملة الوحيدة المتكررة على ألسنة الجميع (يااااااه أخباره إيه صحيح؟) ولكنه لم يسمعها هذه المرة.

إستمر الكلام.. ولكن على مائدة الطعام. (ياسين) في صدر المائدة و(فارس) على شماله و(نورا) قد وقفت على يمينه تغرف الطعام في الأطباق المتراصة على المائدة.

كان الحديث حول (يحيى) مدخلًا ولج منه (ياسين) إلى الحديث عن شلة الأصدقاء. فانحلت عقدة لسانه- وكأنما كانت معقودة!
فطفق يتحدث عن (عمرو) كيف حددا سويًا ميعادًا أسبوعيًا كل جمعة للعب كرة القدم/ أو على أقل تقدير مرة شهريًا، ويكون يوم جمعة أيضًا.
أما (أيمن) فقد إلتقاه بالفعل على مقهاهم القديم المفضل بميدان سانت فاتيما.
ثم أشار إلى (أحمد عبد الكريم) الذي إلتقاه عبر شبكة الإنترنت- وكان ذلك بعد إتصاله ب(فارس)- وتحدثا مطولًا عبر برنامج سكايب.
قال (فارس) لنفسه إنه لا حاجة لتذوق أي شيء من صنع يد (ياسين).
ف(ياسين) كما هو لم يتغير قط..
فكل الأطفال تمتزج سذاجتهم وبراءتهم في وعاء واحد. وما (ياسين) إلا طفل كبير.
ما أن يجلس معك حتى تعرف كل شي، ما رغبت في معرفته وما لم ترغب.
أنهى الجميع طعامهم ثم انتقلا- (فارس) و(ياسين)- إلى الصالة بينما ذهبت (نورا) لإعداد الشاي. وماانفك (ياسين) يتكلم ويتكلم، إلى أن جاءت (نورا) بعد دقائق عشر وهي تحمل صينية عليها فنجانين من الشاي وطبقين بهما أربع قطع جاتوه.. إثنتين

لكل فرد. ولم يقطع حبل الحديث المتواصل من فم (ياسين) إلا قول (نورا) ل(فارس):

- "إنت مش هترسمه هو كمان ولا إيه؟"

- "لا إزاي.. بس يخلص كلامه الأول".

فقال (ياسين):

- "لأ أنا كلامي خلص. نشرب الشاي الأول وبعدين نبتدي على طول".

إلا أن (فارس) فتح كراسته بالفعل وبدأ في الرسم، بينما انصرفت (نورا) للداخل بعدما سمعت بكاء رضيعتها معلنة عن إستيقاظها. إستغل (فارس) بسرعة إنهماك (ياسين) في قضم الجاتوه ورشف الشاي ليسأله:

- "إنت يعني كلمتني عن الشلة كلها وما كلمتنيش عن (يحيى) خالص".

- "ماله (يحيى)؟"

- "يعني.. إفتكرته هييجي يوم العزومة بتاعت الدش بارتي أو إنك هتكلمه أو حتى تحكيلي عنه".

وكأنما فتح (فارس) باباً جديدًا ل(ياسين).. فإعتدل (ياسين) في مجلسه وقد رفع ساقيه ليتربع على مقعده الوثير.

- "المشكلة إني علاقتي إتقطعت تقريباً مع الكل تدريجياً بمجرد سفري أنا و(نورا) على طول.. و(يحيى) نفسه ما كنتش أعرف عنوانه.. حتى تليفونه.. الظاهر غيّره، لأني حاولت أتصل بيه ولكن

التليفون كان ما بيردش أو خارج الخدمة.. مش فاكر. (نورا) برضه كانت بتقول إنها معاها تليفونه ولكنه إتلغي. الغريب فعلًا إني حاولت أعرف عنه أي حاجة ما عرفتش. تصورت مرة إني ممكن ألاقيه باعتلي دعوة صداقة على الفيس بوك أو حتى ألاقي منه إيميل لكن ما حصلش. الظاهر كده إنه هو اللي نسينا".

فكر (فارس) في هذا الإحتمال لأول مرة فقال:

- "إممم. تصدق! إحتمال برضه".

فاستطرد (ياسين):

- "هو ده الإحتمال الوحيد. الدنيا بتاخد البني آدم يا بني في دوامة الشغل والولاد والعيلة.. ده ماكانش فيه أصيع مني.. عشرين سنة عيل وشاب ماكنش مطلوب مني غير حاجة واحدة، أبويا وأمي دايمًا يطلبوها مني كل لما يشوفوني.. خش ذاكر.. مع أني ما بشوفهمش.. لكن تعمل إيه بقى. كل ما أشد مع أبويا ولا أمي يقولوا لي قوم ذاكرلك كلمين ينفعوك. طب أقولك على حاجة، أنا أمي وأبويا قعدوا يقولوا لي خش ذاكر دي لحد بعد ما خدت البكالوريوس ولحد ما سافرت أنا و(نورا). دلوقتي من كتر الشغل ما بقتش ألاحق على الوقت. وهنروح بعيد ليه؟ ما أنت أهو.. قاعد في مصر ما سافرتش.. تقدر تقولي بتقابل مين من الشلة القديمة؟"

- "تقريبًا محدش".

- "أو من غير تقريبًا، هي دي الحقيقة فعلًا".

كان (فارس) يتوقف عن الرسم كلما تكلم.. فقال:
- "الحقيقة أنا حاسس بنوع من الذنب.. لإني تقريباً نسيت (يحيى)، يمكن عشان كده بسأل عليه ويمكن عشان إنه صاحب فضل.. (يحيى) بالنسبة لي كان أخ وعمره ما اتأخر عني ومش عارف إزاي نسيته في زحمة الحياة".
قال (ياسين) بعد هنيهة:
- "كلامك ده مظبوط. (يحيى) عمره ما اتأخر عن حد".
هز (فارس) رأسه في صمت ثم إستطرد (ياسين):
- "طب إنت عارف إنه كان سبب بجوازي من (نورا)؟"
كان (فارس) يعرف هذه المعلومة من (نورا) بالفعل ولكنه تظاهر بالجهل وقال متظاهراً بالإندهاش:
- "بجد؟"
- "بجد".
- "إزاي؟"
- "إنت عارف أول ما قلت يا جواز ماكنش فيه غير (نورا) في القلب، وبرضه الواحد كان ملهي في دراسته.. وحكاية الجواز دي مش مستوية في دماغ الواحد. ولكن بعد خطوبتها الأولانية ما إتفشكلت.. خفت وماعرفتش اتقدم إزاي.. وبعد فترة وأنا في آخر سنة في الكلية قلت أسأل (يارا) أختها إذا كانت مرتبطة بحد، قالت لي إسأل (يحيى). إستغربت وقتها مين (يحيى) ده. المهم جت الفرصة وأنا بضرب أخماس في أسداس وقابلته معاك هنا فوق

في السطوح وما كنتش عارف إيه حدود علاقته بيها. المهم سلام في كلام، كلمة من هنا وكلمة من هناك، لقيت نفسي بسأله إنت إيه حدود علاقتك ب(نورا)، فبص لي وقالي إيه المناسبة والغرض من الكلام ده، فقلت له وش كدة.. المناسبة إني عايز أتقدم لها. بص لي وقال لي إذا كنت بتكلم جد ولا لأ، قلت له جد الجد.. قال لي ساعتها يبقى عليك وعلى (فارس). لا أبوها ولا أمها. (فارس) هو أخوها وهو اللي أدرى بمصلحتها. ماتفهمش خادني في دوكة إزاي. كنت رايح وأنا شايل منه، سبته وأنا عايز أشيله على راسي، خصوصًا بعد ما قال لي إنه مستعد يمشي لي الموضوع لو عصلج وأنه أولًا وأخيراً بيحب (نورا) ويعزها ويتمنى لها الخير.. ومش معنى كلامه إنه لازم الجواز يتم لأن طبعا اللي فيه الخير يقدمه ربنا".

كان الكلام الذي سمعه (فارس) الآن مغايرا للكلام الذي سمعه من (نورا).

لقد كان (يحيى) يلعب على الوترين في آن واحد دون أن يشعر به أحد، ولكن الغاية واحدة والنتيجة هي إرتباط (ياسين) و(نورا).

- "على كده هو صاحب فضل عليك".

- "ماقدرش أنكر الحكاية دي أبدا.. أقولكش! أنا كان نفسي ومنى عيني إني أمثّل وكانت الفكرة دي مسيطرة على كل تفكيري لغاية هو ما مسحها".

- "إزاي؟"

- "مرة قابلته معاك إنت و(أيمن) عالقهوة، وقعدنا أنا وهو نتكلم على فيلم كنت شفته في السينما وبعدين الكلام جاب بعضه وقلت له أنا نفسي أمثل قوي.. فضحك وقال لي يبقى أكيد مش لاقي حاجة تعملها. سألته إزاي. قال لي اللي مش لاقي حاجة عدلة يعملها في حياته بيتجه تفكيره إن يجسدها على الشاشة أو المسرح.. يمثل يعني. قلت له الكلام ده مغلوط لأنه ممكن يكون الواحد موهوب وأي موهبة بتبقى نفسها تستعرض اللي جواها، قال لي إن ده صحيح بس ده لوحده مش كفاية. لازم تكون فيه خلفية ثقافية وحياتية وإحساس، ومع الأسف أنا لا بقرأ ولا عندي خبرة وإحساسي باللي حواليه سطحي.. المهم.. خدت الكلمتين في جنابي بس إقتنعت بيهم".

رجع (فارس) بظهره إلى الوراء في مقعده وأخذ نفسًا عميقًا وقد بدا الإرهاق يتبدى على صفحات وجهه.. ثم أتت (نورا) وهي تحمل رضيعتها بعدما أرضعتها بالداخل.

جلسوا ثلاثتهم سويًا وقد إنتهى الكلام.

نظر (فارس) فيما رسمه فوجد أن وجه (ياسين) الوسيم في مرحلته الأولية قد غلب عليه الجمود.. تمامًا كمواد البناء التي يتاجر فيها.

قالت (نورا) وهي تهدهد رضيعتها:

- "بتتكلموا في إيه؟"

** ** **

# الفصل الثالث

اليوم الجمعة.. يومان قبل وقفة عيد الأضحى. لذا كان لزامًا على (فارس) أن يلتقي ب(أحمد نزار) قبل إجازة العيد، وأيضًا كي يفرغ ما حمله طوال الأسابيع الأخيرة. فذهب لصلاة الجمعة على غير العادة في المسجد الواقع بجانب بيت (نزار) كي يلتقيه مباشرة بعد الصلاة.

أسبوع كامل قضاه (فارس) متنقلًا بين عمله ولوحاته كي ينهي ما بدأه.

الآن.. هو في شقة (نزار).. والتي يبدو عليها آثار النظافة. ربما هي نظافة ما قبل العيد التي تجتاح البيوت المصرية، ولكن (نزار) لا يقضي العيد إلا في بيت أهله.

قعد (فارس) كعادته على مقعده الوثير المفضل وكراسته بجانبه وعلى وجهه إرتسم الوجوم وبقلب مضطرب يكاد ينضح بما فيه من أشياء عديدة.

جاء (نزار) وفي يمناه كوباً من الشاي، بينما إمتنع (فارس) بحجة صيامه الأيام التسعة الأولى من شهر ذي الحجة.. وبعدما أزال عن (نزار) الحرج بأن يأخذ راحته في الطعام والشراب أمامه.. فهم ليسوا في شهر رمضان، وليس بجائع من الأساس.

قال (نزار):

- "شكلك شايل ومعبّي".

لم يأت للفضفضة وللبوح بما في نفسه فحسب ولكن رغبة منه أيضًا في سماع رأي (نزار) أولًا وأخيراً. فقال:
- "كتير أوي".
جلس أحمد نزار على أريكته وقد أخذ كوب الشاي بين يديه وهو يقول:
- "حسنٌ.. هات ما عندك يا صديقي".
- "تحب أحكي إزاي؟"
فقال له في إهتمام وتشجيع:
- "من ساعة ما خرجت من عندي آخر مرة ولحد قعدتك هنا. واحدة واحدة. بس ماتنساش.. حظر التجول النهاردة بيبتدي الساعة سبعة".
إمتعض (فارس) ولعن حظر التجول ومن يقوم به في سره. لكن (نزار) إستطرد:
- "على العموم ما تقلقش. أنا معايا كارنيه صحافة.. نقدر نمشي براحتنا".
إبتسم بعدها (نزار) لثانية ثم إختفت التعبيرات من على وجهه وحل محلها الصمت.
كانت هذه هي طريقة (نزار) عندما يبدأ في الإنصات بكل حواسه. حسده (فارس) على موهبته في الإنصات. فكم أرهقه هذا الأمر في الأيام الماضية.

إننا عندما نتكلم، تتملكنا رغبة أشد من الكلام، وهي أن يصمت الجميع.. لأن في هذا تعزيز وتأكيد لسلطتنا. لكن مهما صمت (نزار)، فالكلمة الأخيرة له.

ثم بدأ في السرد ليخبره بكل شيء مر به في الفترة الأخيرة و(نزار) لا يقاطعه.. بل يجلس متربعًا على أريكته ككاتب مصري قديم، مرتشفًا شايه في بطء كحكيم من حكماء التبت.

بدأ (فارس) يخبره عن مقابلته لكل أصدقائه، بادئا القصة ومدعمها بعرض صورة كل شخص على حدة بعد أن انتهى من رسمها و(نزار) ينظر إلى الصورة متمعنًا فيها بدون إبداء أي تعليق أو حتى إثناء على براعة (فارس) في الرسم.

أخبره بما يعلمه (نزار) من قبل.. بأنه كان في الأصل يريد أن يستتشف عن التغيير الذي أصاب أصدقائه منذ الدعوة إياها. وهل المشكلة بشأنهم أم بشأنه.

ولم تساعد حاسته على التذوق كثيراً.

أخبره عن (يحيى) الذي وجد نفسه يبحث عنه ولم يجد شيئًا على الإطلاق حوله.

أخبره عن زيارته الأولى ل(نورا).. بجمالها المعهود ونشاطها الذي إنطفأ بريقه.

ثم عن (أيمن) الذي مازال على بساطته ولكنه إزداد خمولًا وأصبح أكثر بدانة ولامبالاة عن ذي قبل.

وعن (أسماء) وعن صوتها الذي مازال منغومًا في أذنيه/ وعن كبريائها وإعتدادها اللذين يزيدان في كل مرة يراها.
أخبره عن (عمرو).. مازال كريمًا مضيافًا ولكنه يحملك على النفور منه.
وأخبره عن (أحمد عبد الكريم) - والذي لم يقم برسم صورة له- مازال محبوباً ومثيراً للتساؤلات والحكايات التي لا تخلف إلا بلبلة وتخبطًا.
ثم عن (عزة) بإبتسامتها المشرقة التي تضيء المكان لمن حولها، وعن بئرها السحيق الذي لا ينضح بالأسرار أبدًا.
وأخيرا (ياسين).. مازال طيباَ مثابراَ ولكن كذبابة.. لا يهدأ أبدًا.
ظل (فارس) يحكي كل تفصيلة وصغيرة وكبيرة.. عما سمعه من الجميع، ومبدياً آراءه التي كانت تتبلور مرة من بعد مرة.. كل ذلك، ومازال (نزار) موجهًا إليه نظراته الصامتة.
سكت (فارس) بعد ان انتهى من الكلام ونظر إلى (نزار) ليسأله:
- "إيه رأيك؟"
ولكن أذان العصر قد انطلق. لم يشعر (فارس) بالوقت الذي قد مر قط.
ظل يتحدث ما يقرب من الساعتين دون أن يشعر.. و(نزار) ينصت فقط.
قام (نزار) من جلسته قائلًا ل(فارس):
- "قوم بينا نصلي العصر تحت".

- "إشمعنى تحت؟ ما نصليه هنا!"

- "عايز أخرج أشم هوا.. اسمع.. بينا نلحق العصر في النادي وبالمرة أتغدى هناك".

لم يعارض (فارس) (نزار). فعلى الرغم من رغبته الثائرة في سماع تعليق (نزار) على الحكاية كلها، إلا أنه قد شعر بنوع من الإمتنان نحوه. فقد تركه يفضفض بكل ما يجيش في صدره دون حتى أن يقاطعه. من حقه الآن أن يقترح ويأمر وليس عليه سوى الإذعان له.

ما هي إلا دقائق عشر حتى وصلا بالفعل لنادي الشمس الواقع بجانب بيت (نزار) ليصليا العصر بعدها جماعة في المسجد.

خرجا من المسجد سوياً ثم سارا بعدها جنبَا إلى جنب. مازال (فارس) مستطردًا في حكايته مضيفًا تفصيلة قد نساها أو غفل عنها. ذهب (نزار) بعدها لشراء بيتزا للغداء بينما ترك (فارس) جالسَا على إحدى الموائد في الظل بعيدًا عن الناس. عاد (نزار) ومعه علبة بيتزا وبعض شطائر الطعمية! فقال (فارس):

- "إيه يا بني العك ده؟ إش جاب دا لده؟"

- "إحترت أجيب دا ولا ده، وفي الآخر جبت الإتنين. وبعدين مش فارقة لأني جعان قوي".

ثم بدأ الأكل في صمت. قال (فارس):

- "ما تتكلم يا بني ساكت ليه؟ هفضل اتكلم لوحدي؟"

- "لا أبدًا.. بس كنت بأرتب أفكاري".

- "ورتبتها؟"

ابتسم (نزار) ليقول بعدها:

- "ممكن أسألك سؤال؟"

- "إسأل".

- "ليه كل الإهتمام ده بأصحابك؟"

- "قصدك إيه؟"

- "قصدي واضح.. ليه كل الإهتمام ده بأصدقائك؟ فكر فيه على مهلك قبل ما تجاوب".

وهنا بدأ (نزار) في الصمت مرة أخرى ولكن الصمت صاحبه الأكل. فأخذ يقضم من فطيرته وهو ينظر إلى (فارس) منتظراً إجابته، إلى أن قال (فارس) في هدوء وهو يزن كل كلمة:

- "الحقيقة مش عارف الإهتمام دا سببه إيه.. يمكن عشان صحابي من زمان.. أو يمكن عشان الأيام الحلوة اللي عشتها معاهم. فترة الجامعة كانت أحلى فترات حياتي وكانوا هما أقرب ناس ليا رغم أن معظهم دكاترة. أنا عمري ما كنت بحب المدرسة، وما خرجتش تقريباَ منها بأصحاب. حتى أنت.. عرفتك في درس خصوصي. كل حاجة في حياتي تقريباَ ما كانش ليا فيها إختيار.. زي الأب والأم كدة.. محدش بيختارهم ولا بيختار عيلته ولا أهله ولا ناسه. دخلت كلية التجارة عشان مجموعي قاللي مفيش غير كدة. وشغلي اللي أنا شغال فيه أصلًا إمتداد لشغل والدي، يعني تقريباَ

ما عملتش حاجة لنفسي.. اليومين دول بس إبتديت أفكر أعمل حاجة لنفسي.

حتى مراتي أم عيالي، أمي هي اللي إختارتها لي، ما أنت عارف إنها في الأصل تبقى بنت خالتي. وأنا كنت كل يوم بأحب بنت جديدة مع نفسي. شغل عيال بقى. ومادام مفيش واحدة عالبال أو في القلب، يبقى آخد اللي أعرفها أحسن. واللي تعرفه أحسن من اللي ماتعرفوش.. مش معنى كلامي ده إني كاره شغلي أو حتى مراتي أو أهلي..أبدًا. وحتى بيتي وعربيتي.. إختيارهم كان على قد فلوسي برضه.

أما أصحابي.. فدول إختياري أنا. أنا اللي إخترت وأنا اللي حددت مين اللي يقرب ومين اللي يبعد.. بيتهيألي إن هو ده السبب اللي مخليني متمسك بيهم، وحزين ومتضايق إني ألاقيهم مش بالصورة القديمة بتاعت زمان أو على الأقل اللي كنت بتمناها.. أنا عندي أصحاب من الكلية وغيرها.. بس الشلة دي كنا مع بعض دايمًا زي عيلة".

صمت بعدها فقال (نزار) وهو ينهي فطيرته:

- "و(يحيى)؟"

- "(يحيى) دا كان إنسان غريب. مش غريب الأطوار ولكن غريب في وسطينا. حاجة كدة زي شجرة فاكهة في غيط قمح".

إبتسم (نزار) للتشبيه وقال:

- "ودا تفتكر إنه السبب في إنكم كلكم تنسوه؟"

- "محدش نسيه.. بس زي ماتقول كدة بالعربي الفصيح.. سقط سهوًا".

- "ده بالنسبة لك. لكنه عند غيرك سقط عمدًا".

ثم أكمل بعدما أنهى فطيرته وبدأ في قضم الشطائر:

- "بس إيه السبب في كده؟ موقف مثلًا أو مشكلة؟"

- "على العكس.. مواقفه كانت تقريباَ إيجابية مع الكل.. ما أنا حكيتلك من شوية".

إعتدل (نزار) في مقعده ليقول في هدوء:

- "على العموم أنا كلامي هيكون أساسه اللي إنت حكيتهولي.. يعني شكل من اشكال الحقيقة أو جزء منها.. مش الحقيقة الكاملة يعني".

ثم قال:

- "نبتدي بمين.. مين أول واحد رحت له؟"

- "(نورا)".

شبك (نزار) كفيه خلف رأسه وتمطع قائلًا:

- "(نورا) (نورا) يا(نورا)".

ثم إعتدل وأكمل:

- "من الواضح إنك بتحبها أوي.. بس أنا عارف كدة من زمان".

هز (فارس) رأسه أن نعم. جاء عليه الدور ليصمت. ثم أكمل (نزار) بطريقته التي تمتزج فيها الفصحى بالعامية السلسة:

- "واضح من الصورة اللي رسمتها لها إنها إنسانة جميلة شكلًا.. وروحها برضه جميلة. كانت كتلة من الحيوية والشباب. وبعدين حسيت إنها إنطفت. ده عادي.. ده بيبقى راجع لمراحل الحياة المتعددة. بالأمس كانت فتاة.. أما الآن فقد تغير الوضع. أصبحت زوجة وأمًا. خلاص فينيتو.. ماعادش فيه شباب، بقت فيه مسئولية.. مسئولية بيت وزوج وأطفال وأسرة. دا حتى الطب ما اشتغلتش فيه يوم واحد. ومين عارف.. يمكن لو كانت كملت فيه كانت على الأقل إحتفظت فيه بدور التلميذة الصغيرة. أعتقد إنها لسه جميلة زي ما هي ولكن بشكل مختلف. ما تنساش كمان إن الزوج هنا معاها زي الجنايني مع الوردة بالضبط. يا إما تزهزه تحت إيده يا إما تدبل. (نورا) زي ما هي، بس نضجت حبة أو حبتين.. ده بالنسبة ل(نورا)".

قال (فارس):

- "و(أيمن)"؟

- "(أيمن) دا مشكلته الوحيدة حسب ما قلت لي هي أبوه. عشان كدة هو معندوش مشاكل على الإطلاق لأنه بيكبر دماغه. مهما المصايب رفت عليه، هيفضل زي ما هو. لا مؤاخذة يعني زي البهيمة. حياته وشغله وأكله وشربه لمجرد الإستمرار. وأعتقد إن معيشته مع مراته على هذا المنوال. لو قادت صوابعها العشرة شمع هيبقي عادي جدًا بالنسبة له. ويمكن عشان كدة ما يعرفش حاجة عن (يحيى) لأنه ما يفرقش معاه حضوره أو غيابه. لو

موجود قدامه.. يبقى أهلًا وسهلًا، ولو مش موجود يبقى عادي. وأعتقد إن صورتك معبرة قوي عنه من خلال كلامك.. صورة لشخص هاديء كهدوء الأبقار الهندوسية".

- "و(أسماء)؟"

إبتسم وقال:

- "دي بقى رغم إن نصها فلسطيني ونصها مصري إلا إنها بتفكرني بستات مصر بتوع زمان. واحدة كل همها بيتها وزوجها وعيالها. مع شوية تحابيش البيوت الحريمي.. حبة نميمة على شوية لت وعجن وجوّ رغي وكلام فارغ عن الخلق.. (ماري منيب) أو (زينات صدقي) بس على أحلى وصوت أجمل.. وأعتقد إنها كانت بتحب يحيى وعايزة ترتبط بيه".

- "وتفتكر ليه دا ما حصلش؟"

- "عشان دا عادي.. ممكن يكون كان حب من طرف واحد.. ممكن كان الأمر صعب بالنسبة ل(يحيى).. ظروفه مش سامحة يعني.. التفسيرات كتير لكن النتيجة إن دا ما حصلش. أعتقد إن شخصية كل واحد فيهم كانت من المستحيل إنهم يركبوا على بعض.. وأعتقد إنها دلوقت مش بتحب (يحيى) بس على الأقل مش قادرة تنساه. ويمكن مكنش فيه حب أصلًا.. مجرد إهتمام أخد شكل حب. ولكن (أسماء) هي هي ما اتغيرتش".

- "و(عمرو)؟"

- "(عمرو) ده بقى النموذج المثالي للجيل بتاعنا واللي هييجي بعد كدة.. والله أعلم كان شكله إيه في الجيل اللي قبلنا. إنسان مش شايف غير مصلحته وبس. علاقته بيكم أو بغيركم قائمة على أساس إذا ما احتجتش النهاردة لوشك بكرة أحتاج لقفاك.. وتقريباً (عزة) هي الأساس الأول والأخير في العلاقة دي. في الأول كان بيتقرب منها في قعدتكم.. أما الآن فهي مجرد شيء مشترك فيما بينكم".

- "وكلامه عن (يحيى)؟"

- "اللي زي ده طموح ومصلحجي.. بيبقى دايماً جواه كمّ من الغيرة والغضب. هو حس من كلامكم ومن جوّاه أو إتهيأله إن (يحيى) دا أحسن منكم. من مراته ومنك ومن غيركم. لازم يطلع القطط الفاطسة فيه. وعلى فكرة كلامي عليه ينطبق برضه على صاحبكم التاني (أحمد عبد الكريم). بس الأخراني ده حبوب".

- "إنت عارف إنه كان مفهمني أول ما سافر إنه في بريطانيا بيكمل دراسات عليا هناك.. وإكتشفت من الشلة عن طريق (عمرو) إنه في السعودية شغال مع أخوه هناك".

ضحك (نزار):

- "هو مش حبوب في الأساس.. هو منافق. كلام جميل وحلو ومعسول طول الوقت. لديه الكثير من السكر، عشان كده محبوب. ومين مننا ما بيحبش السكر؟ حلو بس كتير منه بيجيب المرض.. وغير كدة كمان قصاص بارع. ياريته يحاول يألف أو يبقى صحفي. هيمشي في السوق أحسن من مليون صحفي. بس مع

الأسف، الكدب ما لوش رجلين.. عشان كده عمره قصير وبيموت بسرعة. صحابك دول عمرهم قصير سواء مع الناس أو مع نفسيهم..

أما (عزة) بقى فدي إمرأة عقلانية..واحد زائد واحد يساوي إتنين.. مش واحدين. من الصعب إنك تلاقي واحدة تتحكم في مشاعرها وتحكم عقلها بالشكل. إنسانة عايشة بقلب إمرأة وعقل رجل تبقى إمرأة فريدة فعلًا".

صمت بعدها فسأله (فارس):

- "وبعدين؟"

- "ولا قبلين. معنديش كلام تاني أقوله عنها وإذا كان قصدك عن (يحيى)، فبرضه معنديش. العقلاني ده بيبقى بيره غويط قوي. صعب إنك تعرف بيحب إيه وبيكره إيه أو بيفكر إزاي من أساسه".

- "و(ياسين)؟"

- "(ياسين) ده متأخر عنكم وعن الدنيا كلها. واضح إنه بيجتاز دلوقتي فترة المراهقة الصعبة الخاصة بالشباب."

- "مش فاهم".

- "يعني طفولته طوّلت معاه شوية. النضج اللي جواه ومستني يطلع طوّل حبتين.. زي الفراخ العتاقي.. بتاخد سوا أكتر على النار. إنت ناسي اللي قلته لي لما كان غيران منك عشان علاقتك ب(نورا) رغم إنها أختك في الرضاعة ومتحرمة عليك؟ تفتكر إن ده تفكير

إنسان سوي؟ عشان كدا أعتقد إنه قطع علاقته ب(يحيى) وبغير (يحيى). هو معذور برضه. أبوه وأمه كانوا غايبين عنه أغلب الوقت. وهو ده في الأساس مشكلتكم جميعًا أو مشكلة صحابك من الأساس".

- "إزاي؟"

- "إحنا جيل إتربى لوحده. على التليفزيون.. وعلى القراءة للي متعود على القراءة.. وده لأن أهالينا كانوا مشغولين في لقمة العيش.. أبوك وأبويا وأغلب آباء أصدقائك كلهم سافروا على بره.. على الخليج عشان الفلوس والمم. مثلًا أنا وأنت.. الحمد لله أهالينا قعدوا لهم كام سنة ورجعوا. الدور والباقي على اللي لسه هناك. أكلَونا وشرِبونا ولبِسونا وعلَمونا من الأحسن والأفضل. ولكن التربية يا صديقي غير الرعاية.

(نورا) أبوها مشغول لحد دلوقت، و(ياسين) أبوه مرشد ملاحي وأمه لسه بتدّرس، و(أسماء) أهلها عايشين بره و(أيمن) زي ما أنت عارف و(عمرو) أهله دكاترة شغالين بره عمالين يكوموا القرش على القرش، و(عزة) أبوها الله أعلم بحاله، و(أحمد عبد الكريم) برضه.. و(يحيى) ده بقى زي اليتيم في وسطيكم".

ثم إستطرد:

- "هما دول صحابك اللي إنت حامل همهم. من الطبيعي جدًا إنكم ما كنتوش بتتقابلوا في الفترات الأخيرة.. فلم يعد يجمعكم إلا

القليل. أما (يحيى)، فحاولت أدّور على شيء مشترك بينكم وبينه ما لقتش. أعتقد أنه كان بيملك.. الكثير من الحب".

فكر (فارس) في جملة (نزار) الأخيرة وأخذ يرددها:

- "الكثير من الحب.. الكثير من الحب!"

ثم صمت (نزار) لثوان ليستطرد قائلًا:

- "أما أنت بقى يا صديقي فجه الدور إني أتكلم عنك".

- "هتتكلم تقول إيه؟ ما انت عارفني".

- "صحيح عارفك لكن إنت مش عارف نفسك".

نظر (فارس) إليه بوجه جامد ثم أكمل (نزار):

- "إنت يا صديقي ما كدبتش لما قلت إن أحلى أيامك هي الأيام اللي قضيتها مع صحابك أيام الجامعة، وعشان كدة إنت مستغرب التغيير اللي إنت شايفه حصل لصحابك. والحقيقة إن التغيير ده هو الشيء الحقيقي والطبيعي اللي حصل وبيحصل كل يوم لأن هي دي سنة الحياة. إنت الزمن وقف عندك في المرحلة دي وبس، وفضلت عايش معاها. أي نعم إتجوزت واشتغلت ولكنك محستش بطعم الحياة الجديدة دي لأنك مازلت تحيا في الماضي الجميل.

هو الماضي جميل لأنك شايفه كدة. تمام زي الأكل اللي بتدوقه وبتعرف صاحبه جميل ولا مش جميل.. إنت يمكن إخترت إنك تفضل ساكن في مصر الجديدة رغم إن عندك بيت تاني أوسع وأهدى، لكنك إخترت هنا. عملت زي اللي كبر وفضل لابس

هدومه لما كان عنده عشر سنين مع إنه عنده عشرين، وعشان كدة إنت مش مستريح. ولفيت على أصحابك إستجداء للماضي اللي إنت لسه عايش فيه. هم إتغيروا، لكن إنت لأ..

لسه زي ما أنت. لكن الحمد لله.. ابتديت تحس بطعم الحاجات التانية اللي ما كنتش بتحب تستطعمها أساسًا.. إنت لما قابلت صحابك في حفلة الدش بارتي شفتهم إتغيروا فاتضايقت، ولكن الحقيقة إنك إتغيرت إنت كمان ولكنك مكنتش حابب التغيير ده..

أيام الشباب الأولى ومرحلة الجامعة جميلة لأنها مرحلة الإكتشاف. والإكتشاف دايمًا زي عود الكبريت بيولع مرة واحدة.. عشان كدة بيفضل عالق في أذهاننا وما بننساهوش. لكن الإكتشاف بيبقى بعديه حياة ومسيرة.

إنت مازعلتش لأنك إكتشفت إنك نسيت صاحبك (يحيى).. لكنك اتصدمت لأن نسيانك ده معناه شيء واحد.. إنك حسيت إن حياتك القديمة اللي إنت متعلق بيها وحاططها أمامك نصب عينيك فيها حاجة غلط. وده اللي خلّاك تلف على صحابك تسأل عن (يحيى) اللي نسيت حتى شكله عشان تعرف العيب من مين. منك ولا منهم ولا منه".

ثم التقط أنفاسه ليكمل بنفس النبرة الثابتة:

- "أنا لما اقترحت عليك موضوع الرسم بتاع صحابك، كان غرضي إني أعرف مين هو (يحيى) ده.. ويمكن بالتالي يمكن أعرفكم أكتر. الرسم كان مجرد مدخل عشان تدخل بيه عليهم. أنا كل اللي

إقترحته عليك وإنت عملته، هو نفس اللي عمله (يحيى) معاكم. جاب كاميرا وقعد يصوركم بيها ومحدش فكر يقول له تعالى خد لك صورة معانا.. وده معناه حاجة واحدة بس.. إنكم ما كنتوش بتفكروا غير في نفسكم وبس.

فكَّرني بس أضحك، علشان الصورة تطلع حلوة.

هو ده عيبهم وعيبك وعيبي وعيب الناس كلها أساسا.. نفسي.. نفسي".

كان (فارس) قد لفه الصمت من كلام (نزار) الذي تتابع كدفقات السهام.. وما لبث أن دار رأسه.

لو حط غراب الآن على رأسه كي ينقرها، لما شعر بشيء.

فقال مستجدياً الكلمات من عقله كمن يبحث بدلوه عن ماء بارد في بئر عميق:

- "قصدك تقول إن إحنا كنا أنانيين؟"

- "حب النفس درجات.. مش درجة واحدة. إبليس حب نفسه حب أحمق فنزل من أعلى عليين لأسفل سافلين. والأنبياء حبوا نفسهم حب صحيح.. ومن حبهم الصحيح حبوا الحق وحبوا الناس. وأنا وإنتم وأغلب الناس مش عارفين نحب نفسنا حب صحيح.. الأنبياء بس اللي معصومين من الخطأ، إنما إحنا معصومين من الصواب".

قال الجملة الأخيرة في سخرية فقال (فارس):

- "أمال إحنا إيه بالضبط؟"

- "إنت وأصحابك ناس محظوظين. كل واحد فيكم إتجوز الإنسان اللي بيحبه وقلبه إختاره، في زمن الزواج فيه بقى صعب والطلاق سهل. وكل واحد فيكم الحمد لله بيشتغل وعنده بيت وعربية.. هم مشكلتهم لقمة العيش وإنت مشكلتك إنهم ليه بقوا كدة.. حياتك يا حرام مش هتستمر إلا لو رجعوا الصحاب بتوع زمان. بص حواليك يا صديقي وإنت تعرف إيه هي المشاكل الحقيقية.. وبوس إيدك وش وضهر وإحمد ربنا على النعمة اللي إنت فيها. غيركم بيسافر بالسنين عشان يلم تمن شقة.. وفيه اللي بيهاجر إلى غير رجعة.. وإنت وأصحابك وأنا قاعدين في مصر الجديدة. وأنت بالذات مش عارف تخرج منها".

ثم أكمل:

- "(يحيى) كان صديق، لكن إنتم ما كنتوش أصدقاء. كان دايمًا بيسمعكم. عشان كده، مفيش حد فاكر أو عارف عنه أي حاجة.. وطبيعي إنكم تنسوه. بعد الزواج والعمل، الواحد بيصب إهتمامه في حاجتين.. عمله وأسرته.. وبينسى أصحابه".

- "بس أنا وإنت لسه أصحاب والحمد لله".

- "الحمد لله.. ودا لأننا بنشوف بعض مش على طول. مفيش سرف في صداقتنا".

فكر (فارس) لثوان..

الأصدقاء الذين إحتفظ بهم ك(أحمد نزار) كانوا هم الأكثر تقبلًا للإستماع إليه.. أما الذين فقدهم ك(يحيى) كان هو الأكثر كلامًا بينما هو لم ينصت إليهم.

إستطرد (نزار) قائلًا:

- "وبعدين هاسألك سؤال.. فاكر الصور اللي وريتهالي؟"

هز (فارس) رأسه أن نعم.

- "كان فيه صورتين تلاتة لواحدة تانية معاكم".

فكر (فارس) لثانيتين في (رشا) صديقة (أحمد) ولكنه تذكر بأنه لا توجد صور لها فقال وقد تذكر:

- "(ريهام)".

- "و(ريهام) دي بقى مصيرها إيه؟ فين أراضيها؟"

- "الحقيقة ماعرفش".

- "الحقيقة إنك لم تهتم بالسؤال عنها، لأنك لسه فاكرها وما نسيتهاش".

- "أنا فعلًا ما نسيتهاش ولكن ما سألتش عنها لأنها كانت مش مقربة قوي. كانت بتدرس طب أسنان وأصغر مننا بحوالي تلات أو أربع سنين. وكانت صاحبة (عزة) في الأساس. غير كدة ما نعرفش عنها حاجة".

- "على العموم.. أصحابك هُمَ هُمَ.. الدور والباقي عليك إنت.. شوف نفسك قبل ما تشوف غيرك. لا تتبرم بالثلج المتراكم على عتبة جارك قبل أن تزيل الثلج المتراكم على عتبتك أولًا".

- "أشوف نفسي! أشوف نفسي إزاي؟ أنا بعد كلامك ده ما بقتش عارف نفسي".

- "بص لها كويس وإنت تشوف. حبها زي ما حبيت غيرك. وساعة ما تدوق الأشياء بحلوها ومرها ، ساعتها بس.. هتشوف الحقيقة من غير تذويق. الحقيقة اللي قعدت تدوّر عليها الأيام اللي فاتت".

قال (فارس) بصوت عال:

- "بس أنا مش عايز أعرف الحقيقة!"

- "عشان مُرة وطعمها وحش؟"

هز (فارس) رأسه مؤكدًا بنفس النبرة:

- "أيوة!"

- "عارف الناس بتكره الموت ليه؟ لأنه حق.. حقيقة بالفعل. والناس بتكره الحقيقة لأنها مؤلمة زي ما هي مُرّة، وبتحب الحياة وبترتاح لها رغم إنها مخادعة. خليك زي ما انت. خليك مع الحلو والمسكر وإنت تعيش مرتاح.. لكن.. لا تخلط بين الصواب وحقيقة الأمر الواقع".

نظر (فارس) ل(نزار) وكأنه يتأمله لأول مرة.

يرتدي (نزار) دائمًا ثوب الناصح. ولكن لم المكابرة إذا كان كل ما قاله الآن كان في الصميم وفي محله!

لا يُدرك الشفاء إلا عند المرض، ولا يُعرف الحب إلا عند العداوة، ولاتُنشد الراحة إلا بعد التعب، ولا تُعرف الحقيقة إلا بتتبع الأكاذيب.

الأمر كله خواء.. والهدف هو البحث عن الملاذ، أي في كلمات أخرى.. الكل وهم.. باطل، والأصل دومًا في الحياة هو البحث عن الحقيقة.

لقد أرهق نفسه في الأيام الماضية في محاولة لإستنباط العديد من الأجوبة والتخمينات.. بينما كانت الحقيقة أصلا في غاية الوضوح والبساطة ولكنه إما لم يرها أو كانت أمامه تحت مسمى آخر.

النَّصح ثقيل.. والحقائق مُرّة.

هذه هي الحصيلة.. وهذا هو الطعم الذي حاول أن يتجاهله طوال الوقت رغم أنه كان في فمه.

** ** **

# الفصل الرابع

اليوم الخميس.. ثالث أيام عيد الأضحى.

إجتمع الجميع فوق السطوح في الحادية عشر صباحا. وقبيل الظهر بدقائق معدودة، حضر (عمرو درويش) و(عزة الغندور) مع طفليهما.. فإكتملت الشلة كما كانوا مجتمعين هنا في آخر مرة.

دخلت (عزة) الغرفة والتي كان بها بالفعل (نورا) و(أسماء) و(منال).. أما خارج الغرفة، فقد إنهمك (ياسين) في إشعال الفحم و(أيمن) في إعداد أسياخ اللحم المتبل للشوي، أما (عمرو) فقد إنضم ل(فارس) الذي كان جالسًا على المصطبة الرابضة بجوار باب الغرفة وقد إفترشها كليم أحمر منقوش.. بينما توزع أطفال الجميع في أنحاء السطح كله يلعبون ويركضون من حولهم ومن حول أطباق الأقمار الصناعية.

وبإكتمال العدد.. سارع (فارس) بإخراج دفتر سميك تراصت فيه اللوحات التي قد أتمها للجميع. فقال بصوت جهوري:

- "يا قوم..هلموا".

فخرج النساء من الغرفة بينما ظل (ياسين) و(أيمن) في مكانهما، وإن نقلا بصريهما إليهم. إستعرض (فارس) اللوحات لوحة لوحة.. ليتبادل الجميع التعليقات والمديح والإنبهار والإعجاب. أخرج لوحة (نورا) ثم (ياسين) ثم (أيمن) ثم (أسماء) ف(عزة) ثم (عمرو). أخذ كل شخص لوحته ما عدا (ياسين) و(أيمن) فقد أخذت زوجة كل منهما لوحته.

شعر (فارس) بنوع من الراحة المغلفة بالسرور بعدما أعطى كل فرد لوحته..

الراحة لأنه شعر بأنه قد أنجز عملًا ما، كان مشوبًا بالبحث عن العديد من الحقائق.. وشعر بالسرور لأنه نال إعجاب الجميع على عكس توقعاتهم.

مضى ما يقرب من الساعتين، والكل إما في حديث أو حركة أو ضحك أو لهو.. فهو على الأقل يوم عيد يجب فيه الفرح.

إنفرد (فارس) ب(عزة) ليسألها عن السؤال الذي أثاره (أحمد نزار) في رأسه.. عن (ريهام)، فأخبرته بأنها لا تعلم عنها شيئًا سوى أنها تزوجت فجأة وسافرت مع زوجها إلى الخارج وإنقطعت أخبارها.. وأبدت دهشتها لزواج (ريهام) بهذه السرعة، فهي كما تعرف عنها تتمتع بجاذبية شديدة طالما أسرت بها العديد والعديد ولكنها لا يعجبها أي شخص ولا أي شيء، مما أورث من يعرفها يقينًا بأنها متكبرة متعجرفة.

لم يثر الأمر فضولًا حقيقيَا لدى (فارس) بشأن (ريهام)، ولكن الأمر كان أشبه بسؤال معلق يحتاج إلى إجابة كي يتوقف عقله عن الإلحاح بالسؤال كطفل صغير بعدما إستثاره (أحمد نزار). على الأقل حصل على إجابة بشأنها ولكن دونما إهتمام بها وبما آلت إليه حياتها.

خرجت (نورا) من الغرفة لتسأل (ياسين) أين يحتفظ بالأكواب الورقية التي أوصته بشرائها فأخبرها وهو يخبط جبهته براحة يده بأن قد نسي شرائها.

ذهبت بدورها إلى جهاز الإنتركوم بجانب باب المدخل للسطوح لتضرب جرسًا لتقول بعدها:

- "أيوه يا (مرزوق).. مراتك وعيالك جم من البلد ولا لسه؟ طب وحياتك أنا هنا في السطوح، إخطف رجليك بسرعة لحد أي سوبر ماركت فاتح دلوقتي هات لي من عنده كيس كوبايات بلاستيك أو ورق.. اللي تلاقيه.. الكيس فيه حوالي ١٠٠ كوباية.. قوام بسرعة ماتتأخرش".

وضعت سماعة الدكتافون لتقول ل(ياسين):

- "إبقى جهز طبق بقى ل(مرزوق) لما يطلع".

فقال لها:

- "عامل حسابه. إطّمني".

ثم إلتفتت (نورا) للجميع وقالت:

- "إتفضلوا يا جماعة الأكل جاهز..على بال ما (مرزوق) يجيب الكوبايات عشان الحاجة الساقعة".

قال (فارس) وهو يقوم من على المصطبة بجوار (عمرو):

- "هو الواد ده لسه موجود؟ مش كان سافر ليبيا من كام سنة؟"

قالت (نورا) وهي تحمل زجاجتي مياه غازية من الحجم الكبير:

- "كان.. بس ما نفعش في أي حاجة.. ما صدق أبوه مات راح باعت أمه على البلد وراح جاب مراته وعياله.. قال إيه ما قدرش يبعد عن مصر.. وعن مصر الجديدة بالذات".

إبتسم (فارس) ورأى أن (مرزوق) لا يختلف كثيراً عنه في إرتباطه بالمكان.. يذكره جيدًا، فهو في مثل سنهم تقريبَا.. أكمل تعليمه في صعوبة شديدة- بعدما أدخله المدرسة أحد السكان بالمنطقة يعمل بالحقل التعليمي- حتى حصل على الدبلوم الصناعي.. ولكنه لم يفلح في عمل أي شيء على الإطلاق سوى الجلوس في مكانه.. أي أنه بواب بالوراثة. لو كان معه مالًا، لأشترى به بناية وجلس على بابها بوابًا. بل ويؤكد دومًا بأنه ليس بوابًا، ولكنه حارس عقار!

إنهمك الجميع في الأكل وقد وضع أمام كل فرد طبق خاص به إحتوى على لحم مشوي وإما مكرونة أو أرزا.. وتوزعت أطباق السلاطة الخضراء والطحينة على المائدة، بينما أخذ الأطفال يأكلون جميعًا في الغرفة.

لم تمض ثلث الساعة حتى كان (مرزوق) قد أتى فعلًا ومعه كيسين من الأكواب. كيس به أكواب ورقية والآخر بلاستيكية.

كان قوي البنية، خفيف الحركة، أسود البشرة، وسيم التقاطيع، ذي شارب كث. يرتدي جلبابا أزرق اللون وبلغة بيضاء.

قامت (نورا) لتأخذ منه الأكواب وهي تقول له:

- "كنت عارفة إنك هتعمل كدا".

أما (مرزوق) فأخذ يصافح الجميع كلٌ على حدة:

- "سلامو عليكم.. كل سنة وإنتم طيبين".
كان يعرفهم جميعًا منذ زمن.. فقد إعتاد دومًا الذهاب لشراء حاجاتهم أثناء فترة الدراسة.. قامت (نورا) من مكانها وهي تقول له:

- "طبقك أهو جنب الشواية.. كله بسرعة قبل ما يبرد".

- "ربنا يزيدكم من نعيمه.. كتر ألف خيرك".

كان (عمرو) و(فارس) أول من أنهيا طعامهما فغسلا أيديهما في الحمام الواقع بجانب الغرفة. كان (مرزوق) قد جلس على جزع خشب بجانب السور يُستخدم كمقعد وشرع في الأكل بنهم. قال له (عمرو) مداعبًا:

- "هاه يا عم (مرزوق) ، دبحت كام خروف في العيد السنة دي؟"

قال (مرزوق) بصوت جهير:

- "كام خروف! الله يحظّك يا دكتور.. ده الخروف الواحد دلوقت بالألفين والتلات تلاف جنيه. أجيبهم منين وكوم اللحم المترصص في البلد ده مش مخليني أتهنى على لقمة؟ مش لو كان سيدنا إبراهيم دبح إبنه كانت بقت العملية أسهل دلوقت!"

إنفجر الرجال في الضحك لدعابة (مرزوق) وأيضًا النساء اللائي وصلهن صوت (مرزوق) بنكتته.

أتى (أيمن) ثم (ياسين) وإنضما ل(فارس) و(عمرو). أشعل (عمرو) سيجارة وناول واحدة ل(أيمن) بينما بدأ (ياسين) في صب المياه

الغازية في الأكواب الورقية وقام (فارس) بتوزيع الأكواب على الآخرين ثم سار ليناول كوبًا ل(مرزوق) الذي قال له:

- "من يد مانعدمها.. سلّم إيديك".

ثم إستطرد قائلًا ل(فارس):

- "يا سلام.. فكرتوني بلمتكم بتاعت زمان أيام الدماغ لما كان فاضية.. لا عيال ولا هم رزق ولا حاجة أبدًا".

نظر (فارس) ل(مرزوق) في صمت، وعجِب لمقولته، وكأنه يلخص بإختصار الكلام الذي قاله له (نزار) منذ أيام. لكن (مرزوق) أكمل قائلًا ل(فارس) الذي إستند على السور بجواره:

- "بس تعرف يا أستاذ (فارس) اللمة دي ناقصها مين؟ الدكتور (يحيى)".

إبتسم (فارس) في سره.. هذا الأمر أصبح أشبه بقطار بلا سائق خرج عن القضبان ليطارده.. حانت منه نظره إلى (ياسين) و(عمرو) و(أيمن) فوجدهم جميعًا في حالة خمول وإسترخاء. ثم قال ل(مرزوق):

- "إنت لسه فاكره يا (مرزوق)"؟

- "إلا فاكره! وهو ده يتنسي! طب ده أنا شفت وعرفت ناس يا ما، ما لقتش حد أبدًا زي الأستاذ (يحيى) في ذوقه وطيبة قلبه. كان راجل محترم بصحيح. الله يرحمه ويحسن إليه".

وكأنما ألقى (مرزوق) قنبلة من الصمت إنفجرت في وجه (فارس) فأخرسته. قال (فارس) بعدها في بطء مشوّب بالذهول:

- "هو مين ده اللي الله يرحمه؟"

- "الأستاذ (يحيى).. وهو تجوز عليه غير الرحمة!"

فقال (فارس):

- "الرحمة بتجوز على الميت وعلى الحي.. هو (يحيي) مات؟"

قال (مرزوق) وقد توقف عن الأكل:

- "هو انت ما تعرفش حضرتك؟ دا أنا حتى كنت واخد على خاطري منكم عشان محدش قال لي. دا أنا حتى عرفت الموضوع ييجي بعدها بسنة".

نظر (فارس) من حوله ليرى إن كان أحد قد سمع الكلام الذي تفوه به (مرزوق)، ولكن الكل كان منشغلًا. قال بعدها في صوت أقرب للخفوت:

- "ليه.. هو حصل إمتى الكلام ده؟"

فكر (مرزوق) قليلًا ثم قال:

- "ييجي من سبع تمان سنين كدا".

قال (فارس) في عصبية:

- "إنت جبت الكلام الفارغ ده منين؟"

كان (مرزوق) قد قام من مجلسه وقد تبين ما الذي قاله بدون قصد. فقال:

- "ما هو أنا أمي كانت بتروح الشقة بتاعت الأستاذ (يحيى) الله يرحمه عشان تنضفها له. مرة كل شهر كدا".

قاطعه (فارس) بسرعة:

- "كان ساكن فين؟"

- "هنا في العمارات القديمة بتاعت مصر الجديدة اللي جنب روكسي. كان عايش فيها لوحده ، والله يرحمه ما كانش بيآمن لحد يدخل بيته إلا أمي".

قال (فارس):

- "وعرفت إزاي إنه مات؟"

- "أمي كانت تعرف مرات البواب اللي هناك وبتودها في زيارات كل فين وفين.. وفي مرة سألتها عن الأستاذ (يحيى) فعرفت إنه تعيش إنت".

قال (فارس):

- "ما يمكن بتكدب عليها ولا بتقول أي كلام؟"

- "والله يابيه الكدب خيبة.. الله أعلم".

قال (فارس):

- "طب وأهله فين؟"

- "والله ما أعرف. أنا كنت أعرف إنه عايش لوحده في البيت. لكن أهله فين.. الله أعلم".

قال (فارس) ل(مرزوق):

- "إسمع.. إنت عارف بيته كويس؟"

- "أنا أعرف العمارة لكن ما أعرفش".

قاطعه (فارس) وهو يجذبه من ذراعه:

- "طب تعالى بسرعة وريني البيت فين".

إنقاد (مرزوق)- بعدما أنهى طبقه في سرعة- وراء (فارس) في إذعان، ولم يعبأ (فارس) حتى بسؤال زوجته إلى أين هو ذاهب. وما هي إلا دقيقة أو أزيد إلا وركبا السيارة سوياً وإنطلق (فارس) في دقائق معدودة و(مرزوق) بجواره يوجهه إلى الطريق الصحيح.

كانت الشوارع شبه خالية نتيجة لسفر الناس إلى خارج العاصمة لقضاء عطلة العيد. تلقى (فارس) إتصالًا هاتفياَ من (منال) لتسأله عن وجهته فأخبرها بأنه ذهب مع (مرزوق) لشراء شيء وسيعود بعد قليل.

أوقف (فارس) سيارته إلى حيث أشار (مرزوق) ونزل من السيارة وهو ينظر إلى المبنى القديم الذي يقترب عمره من المائة عام في منطقة الكوربة. تقدم (مرزوق) هذه المرة و(فارس) من خلفه إلى أن وصل (مرزوق) إلى باب العمارة ونادى بصوته الجهير:

- "يا عم (عبد المعطي).. يا (أبو فاتن)".

قالها مرتين ليخرج بعدها رجل ضامر الجسد، نابت اللحية، معمم الرأس، يرتدي جلباباً رثًا، يبدو في أواخر العقد السادس أو أوائل العقد السابع من العمر. حياه (مرزوق) وهنأه بالعيد ثم أشار إلى (فارس) قائلًا:

- "الباشا عايز يسألك عن واحد كان ساكن هنا".

- "مين؟"

كان (فارس) متطلعًا برأسه إلى البناية ذات اللون الأصفر الباهت وتملكه شيء من الجمود والصمت المغلف بالرهبة.. هنا كان يقطن (يحيى).

إتجه (فارس) إلى (عبد المعطي) ليسأله بعد التحية:

- "فيه واحد كان ساكن هنا اسمه (يحيى)؟"

- "(يحيى)؟ أيوة.. كان صاحب العمارة وكانت شقته اللي في الدور التاني".

- "صاحب العمارة؟! طب ما تعرفش فين أراضيه دلوقت؟"

قالها وهو يتساءل في قرارة نفسه.. لم المكابرة.

قال (عبد المعطي):

- "دا الله يرحمه مات من زمان أوي".

- "من قد إيه كدة يعني؟"

- "ييجي من تلاتين سنة وأكتر".

نظر (فارس) للرجل نظرة أقرب للبلاهة قائلًا:

- "هو مين ده اللي مات من تلاتين سنة؟"

- "الحاج (يحيى) اللي بتسأل عليه!"

- "يا عم.. اللي أنا بسأل عنه كان شاب صغير.. من سني أنا كدة واسمه (يحيى شرف الدين)".

- "مفيش حد هنا اسمه (شرف الدين)".

نظر الرجل بعدها ل(فارس) في بلاهة لا يعرف ماذا يقول..فقال (فارس):

- "كان بيدرس صيدلة".

قال الرجل كمن تذكر شيئا:

- "آااه.. قصدك الدكتور (محمد)؟"

- "الدكتور (محمد) مين؟"

- "الدكتور (محمد) ده يبقى ابن الأستاذ (حسن)".

نظر (فارس) إلى (مرزوق) وهو يقول له:

- "إنت متأكد يا بني إن هي دي العمارة؟"

- "أيوه والله يا أستاذ (فارس).. هو أنا تايه عن الأستاذ (يحيى) ولا عن بيته!"

ثم نظر (مرزوق) إلى (عبد المعطي) البواب وسأله:

- "يا عم (عبد المعطي).. الأستاذ اللي أمي كانت بتجيله كل شهر هنا وبتنضف له الشقة من عشر سنين.. كان اسمه إيه؟"

قال عبد المعطي:

- "دا كان الدكتور (محمد) إبن الأستاذ (حسن) إبن الحاج (يحيى) صاحب العمارة".

فقال (فارس) وقد بدأ صبره على النفاذ:

- "طب تعرف عنه إيه؟"

فقال الرجل:

- "الحاج (يحيى) الله يرحمه صاحب البيت ما كانش مخلف غير ولدين وبنت.. البنت - الست (فاطمة)- سافرت من ييجى عشرين سنة وزيادة مع جوزها وراحوا البلد دي اللي إسمها إيه دي! آه..

أستراليا. أما الولدين.. فالأستاذ (حسين) موجود بس ساكن في طنطا عند أهل مراته، وبييجي يشقّر على البيت من الوقت للتاني.. أما الأستاذ (حسن) فهاجر بلاد الإنجليز قبل وفاة الحاج (يحيى) بسنة. والله أعلم إذا كان حي ولا ميت. أصلي ما أعرفش. والأستاذ (حسين) لما بييجي مابحبش أسأله. ومن كام سنة كدة، ييجي من عشرة خمستاشر سنة.. جه الأستاذ (حسين) ومعاه شاب صغير وقاللي إنه إبن أخوه الأستاذ (حسن).. واسمه (محمد) وهيقعد هنا في بيت العيلة عشان بيدرس في كلية صيدلة".

كانت الأمور قد بدأت في الإتضاح شيئا فشيء ل(فارس) فقال:

- "طب (محمد) دا بقى ما تعرفش هو فين دلوقت؟"

- "الحقيقة مش عارف.. بس ساب البيت كدة فجأة.. من حوالي سبع أو تمان سنين. ومرة سألت عنه إبن الأستاذ (حسين) لما مر على البيت عشان يلم حاجته.. فسألته عن الدكتور (محمد) وقال لي إنه في المستشفى بعافية شوية. تقريباً كان عمل حادثة عربية شديدة. وقاللي إدعيله عشان ربنا يقومه بالسلامة لأن حالته صعبة قوي".

نظر (فارس) إلى (مرزوق) وقال له:

- "أمّال الكلام ده اللي قلته من شوية جبته منين؟"

قال (مرزوق):

- "والله يا أستاذ (فارس) أمي هي اللي قالتهولي".

قال (فارس) موجها كلامه ل(عبد المعطي):

- "يعني ما تعرفش إذا كان عايش ولا ميت؟"
- "والله يا سعادة البيه الكدب خيبة.. بس لو كان مات كنت هعرف برضه.. ويمكن كان بعافية وربنا خد بيده وسافر على بره مطرح ما كان. أبقى أسألك الأستاذ (حسين) لما ييجي إن شاء الله".

أدرك (فارس) أن الرجل قد أخرج كل ما في جعبته من الكلام. فشكره وسلم عليه وأعطاه شيئًا يسيراً من المال وقال له:

- "متشكر يا عم (عبد المعطي).. كل سنة وانت طيب".

فشكره الرجل بحرارة. إنصرف (فارس) وأخذ (مرزوق) معه وإنطلقا إلى حيث كانا قبل قليل. وصلا إلى البيت وترجَل (مرزوق) من السيارة بينما ظل (فارس) في سيارته لخمس دقائق يحاول إستيعاب ما سمعه من (مرزوق) ومن (عبد المعطي) في الساعة الأخيرة.. كان ما سمعه يفوق طاقته على الفهم.

لقد ظن أنه عندما أعطى لأصدقائه لوحاتهم، أنه قد أزاح عن كاهله عبئًا ثقيلًا. لكن ها قد أتى (مرزوق) والرجل الآخر- (عبد المعطي)، كي يلقيا بحمل جديد عليه، ولكن بشكل أجدد وبطريقة أخرى.

عندما فقد الأمل في العثور على (يحيى)، ظن أنه قد انضم إلى الركب السائر في طريق الحياة.. مثله مثل غيره، وأنه قد أعطى الأمر شكلًا أكثر أهمية وهو لا يستحق. وكان قد إستراح لهذا التفسير.

كان شديد التفاؤل، وعندما أخفق.. أدرك أنه كان سوء تقدير.
أخرج (فارس) هاتفه المحمول بدون تفكير وضغط الأزرار في سرعة أقرب إلى الإنفعال ليلقي بهذا الحمل الجديد قبل أن يخف على الشخص الوحيد في هذه الظروف..
(أحمد نزار).
رد (نزار) على الهاتف وضوضاء من حول (نزار) تقتحم هاتفه في قوة.. فهو يقضي العيد بكل تأكيد مع عائلته. ولم يدع له (فارس) حتى فسحة للسؤال على الصحة والأخبار، فقال له في الفور كل ما حدث في الساعة الأخيرة. وعندما ألقى حمله وأنهى كلامه.. ظن أن (نزار) سوف يصمت قليلًا ثم يطلب منه مقابلته والحديث إليه.. إلا أن (نزار) فاجئه بقوله:
- "ودي تفرق معاك في إيه.. ما هي الحكاية كدة من الأول ولسه كدة".
- "أمّال إيه معنى الكلام اللي قاله (مرزوق)؟"
- "البسطاء مثل الأطفال.. بيهولوا ويكبروا المواضيع على الفاضي. ما تعتمدش كتير على كلامه وعلى كلام النسوان".
تسلل إلى (فارس) شعور بالراحة لسماع جملة (نزار) الأخيرة. ربما كان إنفعاله ليس بشأن وفاة (يحيى) لكنها كان بشأن الموت نفسه. فالموت دومًا يفاجئنا على الرغم من أنه الحقيقة الأصيلة في الدنيا. أما (نزار) فقد استطرد قائلًا:

- "مع الأسف مشاعركم السلبية ناحيته - من التناسي والغيرة والغضب والكراهية والحب غير الناضج ما أصابتش هدفها. إتوجهت لشخص مش موجود.. سواء كان مهاجر أو حتى مات. وفي كلا الحالتين هو اللي كسبان.. لأنه لو هاجر، يبقى كان إنسان كويس.. فأفضلنا هم من يهاجرون.

ولو مات.. يبقى إنتم مش أفضل ما في الجنس البشري.. ومع الأسف..أحاسيسكم السلبية كلها كانت متوجهة لشخص ميت.. ومش عارفين حتى اسمه الحقيقي! وعشان كدة إنت نسيته يا صديقي وسقط من حساباتك. وإفهم كلامي بالطريقة اللي تريحّك".

قال (فارس) في صوت أقرب إلى الخفوت بعد ما أنهى (نزار) كلامه:

- "عندك حق".

قال (نزار) وهو ينهي كلامه:

- "إنسى زي ما كنت ناسي قبل كدة.. ولو فضل صاحبك في بالك، يبقى هيعيش. كل سنة وإنت طيب يا صديقي".

- "وإنت طيب".

وأنهى مكالمته في هدوء. لم يعد هناك كلامًا يقال.

الجمال والقُبح والحق والباطل والصواب والخطأ والرضا والنفور والمذاق الجيد والمذاق الرديء..

كل أولئك تقنعوا بوجوه عديدة.. إلا الموت.. أتى بوجه واحد. لذا إنفعل معه بشدة.

لقد كان في حالة بحث عن شخص وعن الآخرين. وعندما توقف عن البحث، وجد حقيقة أخرى ماثلة أمامه.

هكذا قال (فارس) لنفسه.

لقد كان يحيى إنسانًا طيبًا.. هذا ما وطّن نفسه على تصديقه، حتى ولو كان ميتًا، فهذا هو دأب الطيبين دومًا.. سيرة طيبة ونهاية مؤسفة..

مضى صاعدًا السلالم ثم إلى السطح ليجد أن الجميع قد إجتمعوا في الداخل بينما مازال الأطفال يلعبون أمام الغرفة. وأتاه صوت (أسماء) العذب وهو يشدو على أوتار عود (أيمن):

وخايفة لما تسافر عالبلد البعيد تنسى إنك فايت في بلدك حبيب

** ** **

# الفصل الخامس

**الصفحات التالية مقتطعة من دفتر مذكرات (محمد حسن يحيى) المعروف (بيحيى شرف الدين)، في الفترة من عام ١٩٩٩ حتى الآن.. وقد تم تصحيح الأسماء) حيث قد استخدمت أسماء أخرى عن الشخصيات التي كان يكتب عنها**

**-١-**

**اليوم أخط بقلمي أول سطر في صفحات دفتر مذكراتي.. الأيام تجري بسرعة فائقة والأحداث تتلاحق بسرعة، وأنا أخشى النسيان. عسى يوما أنا أعود إليها فتثير فيّ بسمة أو دمعة.**

**-٢-**

**مازالت أسير كل خطوة بحذر شديد. لم آلف البلد بعد. لم أكن أنزل إليها سوى مرة كل عام أو عامين كلما سمحت الظروف، وغالباَ أقضي معظم الوقت في المصيف. أما الآن ففي مصر الجديدة (هليوبوليس) في قلب العاصمة.**

**أثناء إقامتي في إنجلترا، كنت كلما رغبت في الإستزادة من معرفتي بالبلد، ذهبت إلى والدي الذي كان دوما يحدثني عنها لأسأله.. يحضر لي الكتب والروايات والأفلام المصرية بل والجرائد أيضًا التي**

كان يحرص على شرائها بين فترة وأخرى وكأنه هو الذي به الحنين ولا يريد أن ينسى.

تركت والديّ بعدما أخبرتهما برغبتي بإستكمال دراستي الجامعية في مصر. إستنكرت والدتي الأمر بشدة وأعتبرتها مغامرة حمقاء محفوفة بالمتاعب التي لن أقو على مواجهتها. لكنها لم تعارضني كثيرا خاصة مع مباركة والدي..فهي مثله تريدني أن أخرج من هذا الجو البريطاني الضبابي، على الرغم من أن أسلوب حياتنا محاط دومًا برفقاء المهجر من المصريين والعرب. والدي شخص رزين للغاية وهو أعز أصدقائي والذي علمني كل شيء. تركته وتركت مكتبته الحافلة والتي تعلمت منها الكثير من الأفلام وكتب الشعر والأدب والروايات، التي كان يحرص على شرائها لي خاصة البوليسية، وكتب التاريخ. قال لي قبل نزولي بأني غريب.. ويجب أن أتصرف دومًا بحذر ولا أهب ثقتي سريعًا لأحد وبأنه سيكون على إتصال بي دومًا، سواء هاتفيًا أو عبر الإنترنت وبجواري وكأنني لست غائبا عنه وعن أمي.

-٣-

تعرفت اليوم على (أيمن رضوان). إرتحت إليه في سرعة وشعرت بأنه ينوء بحمل ثقيل. إرتاح إليّ هو أيضًا وسرعان ما توطدت الصداقة بيننا. أخذني في شوارع مصر الجديدة التي كان يرغب في إكتشافها أيضًا، ولكنه على عكسي، كان ينزل مصر عدة مرات كل

عام. فمصر ليست غريبة عنه. كان مقيمًا لوحده في منزل والديه بمصر الجديدة أيضًا بالقرب مني.. لم يسألني قط عن نفسي.. ولم أخبره.

مازلت غريبًا لم أتأقلم بعد. والغريب حذر دومًا.

مضى يحكي لي عن حياته في السعودية وكيف كان والده يعامله دومًا أسوأ معاملة. أجبره والده على دراسة الصيدلة على الرغم من أنه يكره كل مايتعلق بالأدوية.. بعد حصوله على الثانوية العامة فوجيء بأن والده سيزوجه من إبنة كفيله. فتاة عجفاء بلا ملامح. أفضى لوالدته بأنها إذا لم تساعده هذه المرة فإنه سيقتل نفسه أو يقتله. فأقنعت والده بأنه يجب أن يستكمل دراسته في مصر، ولكن والده المتسلط عكّر عليه خطته بأنه لا دراسة سوى الصيدلة، فانصاع للأمر حتى يهرب منه.

كان (أيمن) محتفظًا بعود قال إنه إشتراه من خان الخليلي.. وأخبرني أنه عندما عرف والده بحبه للموسيقى، أجبره على الإشتراك في ناد رياضي ليلعب الجودو.

(أيمن) به كَم غريب ومختلط من المشاعر التي لا تعرف لها مستقرًا.. يناديني دوما ب(يحيى).. اسم جدي، ولا يناديني بإسمي الأول.. (محمد)، ولا أعرف لماذا! ربما كان ذلك مرجعه إلى شيوع الإسم بكثرة بين المصريين..

لم أعترض. فالاسم نفسه كان مصاحبًا للتغيير الذي كنت بدأته.

-٤-

في الجامعة..عرّفني اليوم (أيمن)- بإسم (يحيى)- إلى فتاة قال إنها إحدى قريباته واسمها (أسماء). صافحتني بوجه جامد وبلا أي تعبيرات. أخبرني أنها تدرس الطب. كانت معها صديقة لها ذات إبتسامة مشرقة ترتدي حجاباً أنيقًا. وقعت في غرامها على الفور. اسمها (عزة).

-٥-

لم أعتد الإفصاح عن مشاعري لأحد. لا أثق في أي أحد بعد أبي. أخط فقط ما أشعر به على الورق دومًا حتى لا أجد نفسي مندفعًا في البوح بما أشعر به في تهور أمام أي شخص.

إحتلت (عزة) جزءا كبيراً من تفكيري. رأيتها من بعيد عدة مرات كلما عرجت على مبنى دراستهم أو على الكافتيريا. بادلتها التحية من بعيد فبادلتني بهزة من رأسها بدون إبتسامتها التي أحببتها ومنحتني إياها في الفترات السابقة. تعللت بالسؤال عن (أيمن) وكان الرد مقتضباَ.

-٦-

....لم ألق من (عزة) أي تجاوب على الإطلاق. كانت (أسماء) معها ذات مرة. أشرت إليها في شرود فبادلتني إبتسامة خجلى كسرت وجهها الجامد وكأنني غازلتها ولم أحييها!

-٧-

لم ينته نصف العام الدراسي بعد. حوّل (أيمن) أوراقه على كلية التجارة. قال إنه سيقول لوالده إنهم فصلوه أو سيخبره بالأمر بعد عام أو عامين. لقد كدره دومًا، فليس من مشكلة أن يقوم هو بتكديره أيضًا. فرحت في نفسي لجرأته على إتخاذ القرار.. ولكنه.. لا أعرف ماذا أقول.. ليس به حكمة. على الأقل يتمتع بالحس التجاري - هكذا يؤمن - لذا فاختياره لكلية التجارة كان قائمًا على أساس.

-٨-

تعددت الإبتسامات من (أسماء) كلما رأيتها.. ووجدت نفسي أنتقل من التفكير من (عزة) إليها. ما هذا التقلب الذي أحيا فيه؟ وكيف أنتقل كالطفل من هذه إلى هذه؟ ولماذا أفكر أصلًا في هذا الأمر في خضم دراستي؟

مازالت (عزة) تحتل جزءا من تفكيري ولكن (أسماء) أصبحت تحتل الجزء الأكبر. على الأقل الآن.

كنت كلما قابلت (عزة) وحادثتها، اجتاحني طوفان من اللون الأبيض. حضور في صفاء الحليب وإلتفاف السحاب وعبق الياسمين وطعم السكر ووضاءة ضوء النهار.

لشدة ما اجتاحتني هذه العاصفة من السرور.. ولسرعة ما رحلت عني..

-٩-

(أيمن) أصبح أكثر سعادة وتحرراً وإنطلاقًا بعد إلتحاقه بكلية التجارة.. عرفني اليوم بأحد زملائه وقال إن اسمه (فارس). قدمني إليه أيضًا باسم (يحيى) ثم سألني (أيمن) "بالحق، إنت اسمك (يحيى) إيه؟". فوجئت بهذا الأمر. كل هذه الفترة سوياً في الجامعة وخارجها وفي منزله وقد نسي اسمي أو لم يهتم حقيقة بمعرفته وأنا الذي أعرف إسمه الخماسي وتاريخه الأسود مع والده.

وجدت نفسي أقول في تهكم (يحيى شرف الدين)، فوجدته يقدمني إليه فعلًا بهذا الإسم! لا أعرف ما الذي دعاني لقول هذا الإسم بالذات ولكنه كان أول ماوجدته على لساني. وجدت (فارس) لا يختلف كثيراً عن (أيمن)، وإن شعرت بأنه كنواة الذرة..

ساكن. ليس إيجابيًا بالبروتون ولا سلبيًا كالإلكترون. ولكنه كنواة الذرة أيضًا يخبيء طاقلة هائلة تنتظر الخروج.
تقابلنا جميعًا مرات عديدة في شقة (أيمن) وتبادلنا أحاديثًا شيقة ورائعة حول ما قرأناه. أحببت أن أقرأ عليهم شعري أو ما أحفظه من قصائد. لم يبد (فارس) إهتمامًا ولم يحب (أيمن) سوى الإستماع إلى القصائد الرومانسية لنزار قباني. للأسف لا أحفظ له إلا القليل. لم أستعرض ما عندي بعدها قط واكتفيت بما أسمعه منهم.

-١٠-

اليوم الخميس..عرجت على (أيمن) كالعادة فأخبرني (أيمن) أننا سنذهب إلي بيت (فارس) بالقرب من الكلية الحربية. لم نمكث عنده إلا قليلًا. عرفت هناك أن (عزة) و(أسماء) عند زميلة لهم للدراسة في نفس العمارة.. هي جارة ل(فارس) وأخت له في الرضاع. بدا لي الأمر غريبًا.. فلم أر إخوة في الرضاع من قبل!
كانوا يدرسون في غرفة في سطح المبنى. طلعنا للغرفة بعد أن أنهوا الإستذكار ودَعَتهم (نورا)- هذا اسمها - إلى أعلى.
كانت (نورا) أشبه بممثلة سينمائية. كان كل ما فيها يثير الإبهار. شعرها المصفف بعناية، عينيها الحالمتين اللتين تحتار في لونهما، شفتيها المكتنزتين واللتان تفتران عن إبتسامة مضيئة وملابسها التي تشي بذوق عال وتثير الخيال حول مفاتنها. بالحق كانت جميلة.

-١١-

جلسنا اليوم عند (أيمن)، أنا و(فارس). كان (فارس) صامتًا أغلب الوقت. لم أسأله عما به. أخبرني (أيمن) بعد إنصرافه. لقد خُطِبت (نورا) إلى أحد زملائها في الكلية ولكنه يسبقها ببضع سنوات. كان سبب صمته هو غضبه من (نورا)، فقد كان غير موافق على خطبتها من هذا الشخص. كنت أظن أن هذا تدخل من (فارس) في غير محله، ولكن فيما بعد علمت أن علاقته ب(نورا) تسمح له بالتدخل.

-١٢-

لا أعرف كيف تفكر (أسماء). كلما إقتربتُ منها إبتعدت وكلما إبتعدتُ اقتربت. شيء أشبه بشعرة معاوية التي كنت أسمع عنها ولا أعرف معناها.

الحب موجود في القلب دومًا.. فقط ينتظر الشخص الذي سيتلقاه منه. إذا لم يجد الحب من يتلقاه، فلينتقل إلى من يقبله. لقد رفضت (عزة) بوضوح ما اعتمل بقلبي أول مرة. ربما هذا هو ما دعاني للتفكير في (أسماء) ولكنها ما لبثت أن بدأت تتصرف مثل (عزة).. فانصرفت عن التفكير عن الأمر برمته في هدوء.

-١٣-

أصبحت ألقى (نورا) كثيرا في الجامعة. توطدت العلاقة بيننا أسرع مما كنت أتصور. كانت جميلة الروح أيضًا، لهذا كان جمالها آسرًا، وإن لم أحب خطيبها أبدًا. أعتقد أن (فارس) كان على حق، وأعتقد أيضًا بأنه ذو بصيرة.

-١٤-

لم يبد على (نورا) السرور كعادتها حين إلتقيتها هذه المرة. في الحقيقة لم تعد كسابقتها من قبل. أصبحت العلاقة فاترة بيننا.. ما الذي يحدث بالضبط؟

في المساء.. أجلس مع (أيمن) في أحد المقاهي. فوجئت به يغازل النادلة بفجاجة مستترة! وجدته يخط رقم هاتفه المحمول وإسمًا وهميًا على فاتورة الحساب بعدما ترك لها بقشيشًا سخيًا. كان قراره بالذهب لكلية التجارة مجرد البداية الحقيقية للتغيير. أعتقد ذلك.

-١٥-

دعوت (نورا) اليوم في كافيتيريا الجامعة بعدما وجدتها تسير وحدها في هدوء. صارحتها بأن حالها لا يعجبني في الآونة الأخيرة، وبأنها يمكنها الإعتماد عليّ كأخ وصديق إذا كان هناك ما يضايقها.

أصبحت مستمعًا جيدًا بعد أن تعرفت على (أيمن) و(فارس). فوجئت بها تخبرني بأنها تريد مكانًا بعيدًا كي نتحدث فيه. أخذتها بعيدًا في ركن لا يمكن لأحد أن يسمعنا فيه. مارست معها ما أفعله منذ أن جئت إلى مصر.. الإستماع. وعندما رأت على وجهي الصدق والإهتمام، أخبرتني بأنها تعاني مشكلة مع خطيبها. الخلاصة بعد كثير من البكاء الصامت والكثير من التهوين مارسته عليها، قد تبيّن لي بأنه وغد بالفعل.. وأن (نورا) قد نالت من خسته. الخلاصة أيضًا.. لم تعد (نورا) عذراء.

-١٦-

أكتب اليوم بعد إنقطاع. لم أستطع الكتابة لفترة بعدما تبلبل تفكيري بشدة. كنت قد طلبت من (نورا) الذهاب إلى منزلها على الفور وألا تخبر أحدًا بهذا الأمر، حتى (فارس). وبأنها يمكنها الإعتماد عليّ وأننا سنجد حلًا. وما إن انصرفت بدورها حتى جريت بكل سرعة إلى دورة المياه، وهناك أفرغت كل ما في معدتي. لم أمر بهذا الموقف من قبل ولم أكن أتخيل أن أمر به قط. هنا في مصر. و(نورا)..!؟ (نورا) التي كنت أنظر لها كشيء جميل بريء كالزهرة..! نظرت إلى وجهي في مرآة الحمام بعينين دامعتين. لم أحب شكلي وقتها على الإطلاق فقد كان يشوبه الضعف. أنا أكره الضعف بشدة.

ظللت طوال الليل متنقلا في أنحاء الشقة وها أنا الآن أخط هذه الكلمات.. ما الذي عليّ فعله؟

-١٧-

قابلت (نورا) اليوم. أطمأننت عليها كي أبث لديها شيئًا من الأمان. سألتها ما الذي تريده بالضبط من خطيبها. في البداية قالت إنها لا تعرف، ولكن عندما سألتها هل ترغب بالإستمرار معه كزوجة كانت إجابتها لا بصورة قاطعة. إذاً فالخطوة الأولى هي أن تتركه قبل أن يتركها. الخطوة الثانية- بعد البحث والإستقصاء- هو إصلاح ما فسد. علمت أن هذا الأمر يتم في عيادات طبية خاصة ولكن في الظلام. أفزعني هذا الأمر خاصة وأنه لا أحد غيري معها في الصورة، وأخشى أن يصيبها مكروه فأتحمل وحدي العواقب.
ولكن حبي للصيدلة لم يكن عبثًا.. ما معنى هذا الكلام؟ معناه أن بعد البحث والسؤال أمكنني تدبر الأمر في هدوء. لقد عادت (نورا) بكراً مرة أخرى. ولكن قلبها وروحها قد جُرِحا وهُتِكا بعنف وبشدة.

-١٨-

أصبحت علاقتي ب(نورا) أكثر ترابطًا عن ذي قبل - وإن كان يشوبها شيء من الإنكسار- وإن أثار ذلك نظرات الغيرة من عيون الجميع من حولنا. لا أعرف لماذا؟ يبدو وكأن (نورا) مطمع للعديد

من الرجال وموضع حسد من النساء. عادت علاقتها ب(فارس) مرة أخرى بعد أن أشْعلْت حفيظته بأنها ترغب بأن يكون بجوارها رجل بعد فسخ خطوبتها وقد كان.

-١٩-

سافر الجميع في هذه الأجازة على غير العادة.. (أيمن) و(أسماء) و(عزة) إلى الخارج بينما ذهبت (نورا) و(فارس) مع أهليهما إلى المصيف. لم يسألني أحد تقريبَا أين سأذهب أو ماذا سأفعل! ما زلت أحيا بروح الغريب..

-٢٠-

(عمرو درويش).. زميل ل(عزة) و(أسماء) و(نورا) في كلية الطب.كان يتلقون جميعًا درسًا خصوصيَا في أحد مواد دراستهم الطبية كل خميس. أصبح مكانه محفوظًا بيننًا. كان يتودد إلى الجميع في سرعة، وإن كنت أحمل في قلبي حذرًا منه أكثر من حذري من أي شخص آخر.

-٢١-

كنا على أحد المقاهي بميدان سانت فاتيما. أتى (عمرو) اليوم ومعه أحد أصدقائه يدعى (أحمد عبد الكريم). دخل قلوبنا جميعًا في

سرعة. أنهينا معه اللقاء ونحن نؤكد عليه بأننا يجب أن نلتقي مرة أخرى.

## -٢٢-

بعد ثلاث مرات- تقريباَ- من اللقاءات، أمكنني فهم (أحمد عبد الكريم). كاذب من الدرجة الأولى، لذا كان حديثه عذبًا. فكما يُقال أعذب الكلام أكذبه. المسكين نسي أنه إذا أراد المرء أن يكون كذوبًا فعليه أن يكون ذكورًا. لقد ردد عليّ ثلاث تواريخ مختلفة لعيد ميلاده وغيّر أسماء الدول التي يذهب إليها كل عام وغيرها من الكثير. وعن إنجلترا التي يزورها على الأقل مرة كل عام! كانت معلوماته كلها من وحي الخيال ومن حصيلة معلومات هشة. كلامه حلو جدًا وأخشى ما أخشاه أن ابتلع كلامه. على الرغم من ذلك كان متشائمًا بصورة كبيرة. لم ير أحد ذلك الأمر غيري.
كان كمن يرى الذهب نحاسًا والماس زجاجًا والنساء الجميلات دُمى. لا أعرف أهي نظرة تشاؤمية أم نظرة المحروم الذي لا يقدر الحصول على شيء؟

## -٢٣-

إتصل بي (أيمن) ثلاث مرات في ربع الساعة يسألني أين أنا فأخبره بأنني في الطريق. اتصل بي وهو في منتهى العصبية يطلب لقائي في شقته. أخبرني عندما قابلته بأن والده استشاط غضبَا عندما علم

بتحويله أوراقه في كلية التجارة وأخبره بأنه سينزل إلى مصر عن قريب كي يحطم عظامه. إستغربت من الأمر.. لقد مر وقت طويل على تحويل أوراقه حتى كنت قد نسيت هذا الأمر بالفعل.. فكيف لم يعلم والده إلا الآن؟ حاولت تهدئته فأخبرني بأنه بالفعل قد بدأ يدبر خطة للتخلص منه بمجرد وصوله! إستنكرت إقتراحه المجنون. سألته لماذا يخبرني بخطته.. هل يريدني شاهدًا أم مشاركًا أم يريد شخصًا يثنيه عن فكرته؟ كانت حالته غير طبيعية.

كنت في الفترة الأخيرة بدأت أتشمم روائح غريبة عطنة تنبعث بالتحديد من غرفة نومه. دخلت مرة لغرفة نومه ونظرت إلى فراشه فوجدت قطعة ملابس داخلية نسائية. أما اليوم فتشممت لأول مرة منذ دخولي رائحة عطرية غريبة. كانت تنبعث من سجائره. عرفت فيما بعد بأنه مخدر الحشيش.

## -٢٤-

أتى شهر رمضان. كنت قد بدأت أزداد حبًا له بعدما جئت إلى مصر. أخذني (عمرو) على غير عادته لصلاة التراويح في مسجد سيدنا الحسين. لي بضع سنوات في مصر وهذه هي أول مرة أزور فيها آل بيت النبي الكريم. كانت ليلة مميزة معبقة بالروحانيات. دعاني (عمرو) لمقهى الفيشاوي وطلب شايًا أخضر. كانت أول مرة انفرد فيها مع (عمرو) سويًا دون بقية الأصدقاء. فجأة وجدته يحدثني عن الزواج وصعوبة العثور على زوجة صالحة خاصة في

هذا الزمن الأغبر.. فجأة تذكرت (نورا)، مما جعلني صامتا طوال الوقت لا أقاطعه.. ثم سألني إن كنت أعرف فتاة صالحة للزواج. قلت له وأنا لا أجد كلامًا إنني لا أعرف مواصفاته في الزوجة التي يريدها. أخذ يعدد لي الصفات التي يريدها بل ويحدد لي الشكل أيضًا، وقبل أن ينتهي كلامه وجدت صورة (عزة) وقد رُسِمت بالكامل أمامي!

قلت له في إقتضاب بأنني لا ألق بالًا لهذه الأمور. ربما بعد أن تنتهي دراستنا. بدا لي وقتها لزجًا للغاية مما أفسد عليّ الجو الذي كنت أعيشه الآن.

-٢٥-

ركبت اليوم الترام مع (عزة). سألتني إن كنت سأرحل بالترام. كانت دعوة صريحة بأن نكون سويًا. ذهبت معها وودعت (أسماء) و(نورا) أمام بيت الأخيرة بينما حدجتني (أسماء) بنظرة متجهمة بها نوع من العداء! إعتبرت هذه النظرة نهاية تفكيري بها. ركبت مع (عزة) الترام من ميدان سانت فاتيما. كانت المسافة قصيرة ووددت لوكانت أطول. أخذت (عزة) تحدثني في أشياء شتى لا أذكر منها شيئًا على الإطلاق. وصلنا قبيل ميدان روكسي وتعللت بأنني يجب أن أوصلها حتى باب بنايتها فالوقت متأخر. الثامنة مساء! وجدت رجلًا مسنًا واقفًا في إحدى الشرفات تشير إليه عرفت أنه والدها. تركتها وأنا أضرب أخماسًا في أسداس.

-٢٦-

اليوم الجمعة.. ذهبت للصلاة ثم تسكعت قليلًا في المنطقة، واشتريت بعض البقالة. عدت للمنزل لأجد رقمًا هاتفيًا غريبًا على شاشة المحمول وقد اتصل بي عدة مرات وأنا بالخارج. وقبل أن أسأل نفسي عن المتصل، رن الهاتف في يدي بنفس الرقم. فاجئني صوت شخص لا أعرفه وسألني إن كنت (يحيى شرف الدين)! فأجبته بنعم.

قال لي إنه شقيق (عزة)! وقبل أن أكمل إندهاشي قال لي إن والده يرغب في التحدث إليّ! أتاني صوته العميق عبر الأسلاك وبعد التحيات وكيْل المديح في شخصي، أخبرني بأنه يقصدني في خدمة. هناك صديق تقدم لطلب يد ابنته، ويرغب في معرفة أية معلومات عنه، ويدعى (عمرو درويش)..

أخبرته أن هذا من دواعي سروري، وأخبرته بكل ما أعرفه عن (عمرو) وأهله. ثم طلبت منه ألا يعتمد على معلوماتي بنسبة مائة في المائة. فهي قد تصيب وقد تخطيء، وطلبت منه أيضًا سواء انتهى الأمر بالقبول أو بالرفض فعليه ألا يذكرني أو يذكر هذه المكالمة بأي شكل من الأشكال. أنهيت المكالمة وفي رأسي ألف سؤال.. لم أفلح في إلتقاط سؤال واحد كي أجد له إجابة.

-٢٧-

مرت أربعة أشهر منذ مكالمة والد (عزة)، لم ألق فيها الشلة إلا لمامًا. لم أهتم حقيقة بالأمر فقد كنت غريقًا حتى قمة رأسي في دراستي. فاجئتني (نورا) على الهاتف- على غير العادة- بأن (عزة) و(عمرو) قد خُطِبا لبعضهما البعض، وسألتني لماذا لم أحضر الخطبة؟ لا أذكر بماذا رددت وقتها.

-٢٨-

اتصل بي (أيمن) ليلًا وأخبرني بأنهم- الشلة- سيذهبون غدًا للفسحة في منطقة الأهرام ثم النيل. أحضرت كاميرتي- بناء على طلب البنات- وأخذت التقط الصور. حضرت فتاة لطيفة ذات شعر قصير فاتح تدعى (ريهام) - صديقة ل(عزة)، وتصغرنا ببضع سنوات.

(أحمد عبد الكريم) أتى ومعه فتاة أقرب للسمرة تدعى (رشا) لا تفارقها الإبتسامة ومليئة بالحيوية.. أحببناها جميعًا. تعمدت (أسماء) أن تطلب مني عدة مرات أن التقط صورًا لها ول(أيمن) منفردين.

نظرت إلى (ريهام) بإبتسامة آسرة وهي تلوّح لي بمرح وهي بجانب (عزة).

نظرة فابتسامة فسلام فكلام. هذا أقصى ما وصلت إليه. فلا موعد ولا لقاء. ضحكت في سري لهذا الخاطر.

## -٢٩-

مر وقت طويل منذ رأيت الجميع. (فارس) و(نورا) اقترحا حفلًا للشوي على السطوح في يوم شم النسيم، على أساس أنه لا يوجد أحد تقريبَا يرغب في تناول الفسيخ أو الرنجة! أخذت في تبادل حديث ودي مع (ريهام) تارة ومع (أحمد) تارة أخرى.. بينما كانت (رشا) صديقته تنتقل من حولنا في صخب ومرح. ذهبت لإعداد المائدة. فوجئت ب(رشا) تلتصق بظهري وهي تلتقط طبقًا من أمامي وتسألني في مرح إن كنت بحاجة لأي مساعدة! إنتفض جسدي من المبادرة فقلت وأنا ألتف حول المائدة وكأن شيئًا لم يحدث طالبَا منها بأن تناولني الأطباق. حسبت لحظتها أن تصرفها جاء عفويًا، ولكن ما أن وُضع الطعام وجاء مقعدها مقابلًا لمقعدي حتى فوجئت بأصابع قدميها تتسلل إلى ساقي! أخذت طبقي وقمت وأنهيته في سرعة ثم تعللت بالإنصراف بعذر واه لمقابلة أسرتي الغائبة أصلًا.

## -٣٠-

قابلت (أحمد عبد الكريم) على المقهى مع بقية الشباب بعد إنقطاع. انتظرت الفرصة حتى انفردت معه بالحديث. سألته عن حقيقة علاقته ب(رشا) فأخبرني بأن ينوي الإرتباط بها عن قريب.. ثم أخذ يحدثني عن الفتيات اللائي عرفهن في حياته وكيف أن

(رشا) هي التي سلبت قلبه. لم أتكلم، ولم أسمع من أصدقائي الفتيان أي شيء غريب مماثل حدث لهم.

-٣١-

كان (أحمد) يجلس معي في شقة (أيمن). لأول مرة أحاول انتزاع الكلام منه. لم تعد (رشا) في الصورة معه في الآونة الأخيرة ولم يعد يتحدث عنها. سألته إن كان رأى عليها ما يشين فأخبرني أن العكس هو الصحيح، فهي إنسانة محترمة ومهذبة وتحب الجميع من حولها وكانت دوما تسأل عنّا وتتكلم بالخير. والحقيقة، أن أهلها وأهله هما السبب بوضع العقدة في المنشار.. ثم سألني عن رأيي فيها بكل صراحة، فأخبرته بأن رأيي من رأيه تمامًا وأن فراقها عنا قد سبب لي وللآخرين أشد الحزن.. طلبت من (أيمن) بأن يعد لنا فنجاني قهوة ثم يقرأهما لنا. أمسك (أيمن) بفنجان أحمد المقلوب وقرأ. لم يختلف كلام (أيمن) عن رأينا كثيراً.

-٣٢-

لم أعد ألتق أحدًا على الإطلاق، أو حتى أجد أحدًا يسأل عني. أنهى (فارس) و(أيمن) دراستهما منذ عام وأنا الآن في السنة الأخيرة. أما (عزة) و(عمرو) و(نورا) و(أسماء) ففي لهاث دائم في دراستهم المكثفة.

-٣٣-

في محاولة أخيرة مني ، ذهبت لبيت (فارس) و(نورا). لم أسمع عن (نورا) أي شيء منذ خُطبت ل(ياسين). لم تدعني لحفل خطبتها، ولكني رجعت الأمر إلى أنها لا ترغب بوجود أي شخص أو شيء يذكرها بالماضي وهي تعتزم بدء حياة جديدة، خاصة أنا.. عرفت من (فارس) أن (ياسين) غيور بدرجة تثير الحنق، وأن هذا هو السبب- تقريباَ- في عدم دعوتي أو دعوة الآخرين من الشباب! ثم دعاني لعقد قرانه على إبنة خالة له تدعى (منال) ولكنه لم يستقر بعد على ميعاد محدد. تعللت بأنني في خضم الإمتحانات. هز رأسه في شرود وخرجت من عنده وأنا لا أنوي على شيء. أما (أيمن) فقد بدأ يخرج من حياتي شيئًا فشيء. أعتقد أن ذلك الأمر قد بدء مع إختلاط الروائح العطرية والعطنة في شقته.

-٣٤-

ذهبت للبيات اليوم إلى منزل عمي الذي يعتزم أخذي إلى رحلة للساحل الشمالي. لم أخبر أحدًا عن وجهتي كالعادة. وكالعادة أيضًا لم يسألني أحد، ما عدا (مرزوق) ابن البواب في عمارة (فارس) و(نورا). إتصل بي وسألني إن كنت راغبَا في أي خدمة فأجبته بالنفي. بالطبع كان سؤاله مختصًا بأمه التي تنظف بيتي.. هذه المرأة هي الشخص الوحيد الذي يعرف أين أسكن. أحتاج إلى

السفر.. فلديّ الآن الكثير من الوقت بعد أن إنفصلت عن الشلة تقريباَ.

-٣٥-

أكتب اليوم بعد توقف حوالي ستة أشهر عن الكتابة. حادث لعين في سيارة عمي في أثناء سفرنا للساحل الشمالي. لحسن الحظ، قد سبقته زوجته وأولاده إلى هناك. كنا في السيارة أنا وهو فقط. تلقيت أنا معظم الإصابات. غيبوبة لمدة أسبوع، وأسابيع طويلة في الرعاية المركزة. لا أذكر عدد الكسور والتمزقات والتهتكات. لقد كانت كثيرة. بعد أن أمكنني تحريك أصابعي، تحققت من هاتفي الذي تحطم.. وتحطم كل ما بداخله. اليوم استأنف الكتابة. ولأول مرة منذ أعوام ينزل والديّ لمصر، لكن هذه المرة من أجلي. ضاع مني فصل دراسي كامل. المحزن أنه الفصل الأخير من السنة الدراسية الأخيرة.

-٣٦-

كانت أسناني الأمامية الأربعة السفلية قد تحطموا.. وكنت قد وضعت طاقماً متحركًا تعويضياَ للأسنان المفقودة.. واليوم أذهب- وانا أتعكز على عصاي- لعيادة أحد أطباء الأسنان حيث سأقوم بتعويض الأسنان المفقودة بأخرى ثابتة مزروعة في الفك. دخلت العيادة لأجد مفاجأة في إنتظاري.. (ريهام)، والتي إلتقيتها بضع

مرات مع الشلة، تعمل كمتدربة عند هذا الطبيب. سألتني عن الغيبة وفزعت لشكلي الذي تغير تمامًا. كانت في عينيها اللهفة والإشفاق أو هكذا تصورت. بعد التحية والكلام، عرفت منها أنها لا تعرف أي شيء أيضًا عن الشلة.. مثلما دخلت في سرعة، خرجت في سرعة، فشجعنا ذلك على تبادل أرقام الهواتف على وعد مني بالإتصال. ذهبت بعدها إلى المقهى الذي إعتدت الجلوس عليه مع الرفاق. لم يتعرفني جرسون المقهى. ذهبت إلى منزل (فارس) و(نورا). ناديت على (مرزوق) فقام من على دكته الخشبية وجاء إليّ. لم يتعرفني أيضًا! سألته إذا كان الأستاذ (يحيى شرف الدين) يأتي إلى هنا فأجاب بأنه لا يعرف عنه شيئًا.

لم يتغير شكلي فحسب.. التغيير الروحي الذي أصابني ظهر على وجهي فأضحى شكلًا جديدًا.

أصدقاء..أحباء أو حتى أقرباء. مهما تعددت الأسماء تظل النتيجة المشتركة بينهم..

أناس ظننت يوما أن حياتي لن تسير بدونهم، وأن فراقهم هو الموت ذاته.. مع الأسف، تبيّن لي أن العكس هو الصحيح.

-٣٧-

ذهبت اليوم لمركز سيتي ستارز التجاري لشراء هدية لوالدتي بمناسبة عيد ميلادها. مازالت قدماي لا تقوى على السير. جلست كي أستريح على إحدى الكافيتيريات بعدما جذبتني رائحة القهوة

في قوة. ذكّرتني رائحتها وجوّ المقهى بالكافيتيريا التي كنت أرتادها في شارع كوينزواي في لندن مع أبي. وأنا جالس أحتسي قهوتي وجدت عينين تحملقان فيّ وتتفحصني في إهتمام..
كانت (عزة) تتحقق من شكلي.
كانت تقف بجانبها فتاة أصغر سنًا تشبهها رجحت أنها أختها. نطقت اسمي في خفوت وكأنها تتأكد من شخصي فهززت رأسي مبتسما أي نعم. كانت بطنها منتفخة بشكل ملحوظ. الشكل الذي يليق بإمرأة حبلى في الشهور الأخيرة. مددت يدي للمصافحة فصافحتني في قوة أربكتني وظلت ممسكة بيدي بينما أمسكت يسراها بكيس يوحي بأنها كانت تتبضع للضيف القادم الذي تحمله.
وجدت في عينيها الإرتباك وعلى لسانها التردد والتلعثم وفي مصافحتها النشوة.
لم يطل الحديث بيننا كثيراً.. كالعادة.. بضع دقائق فحسب، وكالعادة أيضًا لم نتحدث في الشيء الذي يُشغِل قلبينا.. هكذا تيقنت. لم تجد كلامًا، ولم أشجعها على الحديث. انصرفنا دون وعد بأي شيء.
للأسف الشديد. أدركت بكل تأكيد الآن بأنها كانت مثلي واقعة في الحب. لم تُبّين.. ولم أشعر.
وجدت رسالة قد كتبتها إليها ولم أبعثها.. وظللت أحتفظ بها بين أوراقي.

"بالطبع تسمعين عن الحب الأول. هذا هو حالي معك منذ رأيتك لأول مرة. بإبتسامتك الوضّاءة الأخّاذة. حتى المكان الذي جمعنا سويا.. لم أنسه قط. كل ما أذكره يومها، هو أنني كنت مأخوذًا إليكِ بقوة.. كطفل رأى لعبته الضائعة، ولكنه ظل ينظر إليها.. وغير قادر على مد يده ليلتقطها. ولكن أعجب ما في الأمر هو ما حدث بعد ذلك. فكل كلمة منكِ، سواء كانت لي أو لغيري، فالتقطتها أذنيّ، كانت تثير فيّ الإرتباك الأقرب إلى الجنون. فما سمعته منكِ ساعتها كنت قد سمعته من قبل فعلًا. ولكن لا أعلم متى أو أين سمعته. أنا لا أؤمن بتناسخ الأرواح، ولكن هذا هو الوصف الدقيق لما كان في هذه المرحلة.. أقول هذه المرحلة لأنه لم تكن هناك مراحل أخرى".

عندما رأيت (عزة) من جديد، خفق قلبي في قوة.. ولكن دون أن تؤلمني نبضاته هذه المرة. لم يصبح قلبي ميتًا، ولكنه كان في سكون وخمول أنساني أنه حي ينبض!
أيها القلب الحزين.. إرجع إلى خمولك مرة أخرى. فما لقيت منها تجاوبًا من قبل.. فما الذي تتوقعه أن يصير منها الآن بعد أصبحت زوجة وأما؟
لماذا كُتِب لهذا الحب أن يموت وهو لا يزال في مهده؟

-٣٨-

تُرى ماذا تُخبيء لنا الأقدار؟

اظن كلٌ على قدر عمله وصنيعه. فقط أرجو أن أتمكن من الخير وأن يتمكن الخير مني حتى أكون أهلًا لما يخبئه لي القدر من كنوز السعادة والهناء.

يتحول الفحم مع الزمن الطويل والضغط الشديد في باطن الأرض إلى ماس.

هكذا كل ما يحتاجه الأمر.

ضغط وزمن.

أعتقد أنني مكثت في مصر وقتًا كافيًا.

كان والدي قد أعد لي خطتين. خطة للعمل والإستمرار في مصر، وخطة بديلة أخرى ولكن تكتمل في إنجلترا. تنازعتني الرغبة بين المكوث في مصر وعدم فعل أي شيء، وبين الذهاب إلى إنجلترا والإستمرار.

إخترت الذهاب إلى أستراليا.

فطقسها قريب من طقس مصر، ولا تفرق معيشتها كثيراً عن إنجلترا.

على الأقل سأعيش بجوار عمتي هناك مثلما عشت بجوار عمي في مصر. قضيت طفولتي في إنجلترا وجل مراهقتي في مصر، فلأبدأ إذًا حياة جديدة في مكان جديد.

سأكمل دراستي هناك. وربما أعود يومًا إلى هنا مرة أخرى حتى ينصلح الحال.. أو على الأقل تكون بي قدرة لكي أساعد في تغيير الحال إلى الأحسن فأعود إلى هناك مرة أخرى. لا بد أن أعود مرة أخرى بمشيئة الله.

كنت أتصور عندما جئت إلى مصر أنني سأعود كما تعود النبتة إلى أرضها. وها أنا الآن أخرج منها وقد إزدحم جسدي بالندوب وملأت روحي الجروح.

فما الذي يجبرني لهجر حياة واضحة الملامح إلى حياة أخرى مجهولة إلا إذا كنت موقنًا بأنها أفضل وأحسن وأكثر أمانًا وإستقرارًا؟

صاحبت وأحببت بكل جوارحي رغبة مني في البقاء.. ولكن..!

إذا إمتلأت الزجاجة بالماء، فرغت من الهواء.. كذلك القلب.

لم اشأ أن أنسلخ من مصر تمامًا. خرجت منها ومعي (ريهام).

لم أتصور أبدًا أن تكون هي ضلعي المفقود.

على الرغم من الإختلافات العديدة بيننا، إلا أنه هناك شيئين حسما القرار.

أولا.. كانت ترغب في بداية لقائنا بأن تعرف عني كل شيء.. اسمي وأهلي وسكني وما أحب وما أكره. وما حسبته فضولًا وقتها، ظهر إهتمامًا.

ثانيا.. كانت تحبني حقًا.

قلت لها وقتها إنني لا أريد حبَا ولكني أريدها هي. فاجئتني بقولها باسمة إنني يمكنني الحصول على الإثنين معا!

كنت بدأت أعتقد بأنه ليس السعادة بأن أُحِب.. ولكن السعادة في أن أُحَب.

السعادة الحقيقية هي أن يكون الحب متبادلًا بين الطرفين.

سألتها هل عندها النية كي تغير من حياتها كلية كي تبدأ حياة جديدة معي فأجابتني بالإيجاب.. نعم.. حتى آخر الدنيا.

-٣٩-

أربع سنوات من الإستقرار مع (ريهام) ومع طفلينا التوأم. ما حسبته حبَا قبل أن ألقاها لم يكن عبثًا، وإنما كان تمهيدًا. يتأكد لي هذا الأمر يومًا بعد يوم. أخبرتها ونحن جالسين على أريكة في حديقة منزلنا برغبتي للذهاب إلى مصر ولو لزيارة خاطفة، خاصة بعد ثورة ٢٥ يناير التي أرهقتني متابعتها على شاشة التليفزيون دون أن أملك فعل أي شيء سوى الإنفعال بكل جوارحي.

كنا غارقين حتى آذاننا في لجة الحب والإستقرار غير مشاركين بضجيج المعامع وثورة الجميع من حولنا.. فهل هي أنانية؟

قالت ضاحكة وهي ملتصقة بي ما هو وطني بالضبط. سألتها متفلسفًا ما هو الوطن بالنسبة إليها؟

قالت إن الوطن هو المكان الآمن حيث يشعر المرء فيه بالراحة والإطمئنان والسعادة.

قلت لها وأنا أزداد إلتصاقا.. أنتِ الآن وطني.

## خاتمة لابد منها

غادر الجميع حفل الغداء وهم يهنئون بعضهم البعض بالعيد وعلى وعود من كل أسرة بتكرار اللقاء. لقد سعد الجميع بالفعل.

غادر (فارس) وهو واجم مع زوجته. فقد فطن منذ عاد مع (مرزوق) من بيت (يحيى شرف الدين) أو أيّا كان اسمه ، أنه لم يستطع تذوق أي شيء.

لا حسن ولا رديء.

كان كل شيء في فمه كالماء.

ركب السيارة مع زوجته وأطفاله وهو يتابع أصدقائه في شرود، كل أسرة في سيارتها.

كان يظن أنه في ظاهر الأمر يبحث عن حقيقة أصدقائه، وفي باطن الأمر عن (يحيى شرف الدين).. لكنه إكتشف في النهاية أنه كان يبحث عن نفسه.

تذكر أنه قرأ يومًا أن الصديق الحقيقي هو المرآة التي يرى فيها المرء نفسه..

لم يحب نفسه في هذه الساعة.. فرآها مبعثرة مكررة..

وحانت منه إلتفاتة إلى الشجرة العتيقة فشعر أنه في حقيقة الأمر مثلها.. لا حياة لها سوى في هذا المكان لأن جذورها ضاربة في هذه الأرض.. فلا حرية لها لتغير مكانها، وإقتلاعها من جذورها هو الموت نفسه..

قالت له (منال) في إنهاك ما بعد الأكل والحديث:

- "مالك، سرحان في إيه؟"
قال لها وهو لا يزال في شروده:
- "عندك مانع نتمشى بالعربية شوية؟"
وافقته وهي تتأمل الشوارع شبه الخالية:
- "أبدًا. دي حتى فرصة والبلد فاضية".
إنطلق (فارس) بسيارته واخذ ينظر إلى كل شيء من حوله.
المباني القديمة والأخرى الجديدة التي تقف إلى جانبها في صلف وكبرياء بعدما حلت مكان الفيلات القديمة.
المحلات القديمة.. قام بعضها بتجديد واجهاته، فبدا كل محل ومتجر كعجوز متصابية تحاول أن تقنع نفسها بأنها مازالت شابة ومرغوبة.
الأرصفة الواسعة الآخذة في التآكل لتوسعة الشوارع أشبه بإعطاء أقراص مسكنة لمريض لا تشفيه المسكنات من علته.
القمامة التي تتناثر حول صندوق يتيم على الأرصفة المنكمشة، وتتناثر من حولها القطط الضالة.
وجوه الناس التي كانت تنطق بالإرتياح والسكون حلت محلها وجوه مرهقة وأخرى وقحة وتزداد وقاحة مع كل جيل يشب.
شريط المترو لم يعد يمر عليه المترو إلا لمامًا.

طاف (فارس) على أغلب الميادين تقريبَا.
مرّ على ميدان تريومف الذي لا يعرف من قام بتغيير اسمه إلى ميدان الحسين بن طلال. سيأتي جيل بعده يتقبل الإسم مثلما كان ميدان رمسيس بوسط البلد يسمى بباب الحديد.
مر بجوار سور الكلية الحربية ومسجد عثمان بن عفان.
وعلى ميدان سانت فاتيما وكنيسته الحمراء ونادي الطيران.
وعلى ميدان الحجاز ونادي الشمس..
وميدان هليوبوليس وميدان المحكمة..
وميدان الجامع وميدان سفير..
وميدان روكسي ودار السينما بالميدان.
حتى المعبد اليهودي بالكوربة.. مرّ بجواره.
وبالطبع مر بجوار تحفته المفضلة.. قصر البارون.
حاول (فارس) أن يلتقط صورة من ذكرى من ثنيات عقله عسى أن تذكره بشيء ما، فلم يفلح في إلتقاط شيء. وكأنه لم يمر يومًا بكل هذه الأماكن.
كانت الصور التي صاحبته في رحلته القصيرة بدأ يصيبها الغبش والبهتان.
نظر (فارس) إلى كل ذلك وأكثر..
كان الشعور الذي بدأ يلاحقه حول المكان والمنطقة والحي كله، شعور بمن يودع شخصًا، كان صديقًا حميمًا ثم أصبح عدوًا.

أو ربما لم يصبح عدوًا.. لم يعد صديقًا فحسب ، فأصبح شخصًا آخر سخيف الطباع ، ثقيل الحضور.

ربما هذا هو ما أدركه (يحيى) منذ البداية وأدركه هو متأخراَ.. ربما.

هل سيتوقف الزمن إذا توقفت الأرض عن الدوران أو توقفت عقارب الساعة؟

إذا كان الزمن تحت تصرف الإنسان، فمازال هناك وقت لإنقاذ ما يمكن إنقاذه مما فات ومما هو آت.

لقد حان الوقت الآن للخروج.

وصل (فارس) و(منال) وأطفالهما لمنزلهم. وما إن دلفوا وقام (فارس) بتغيير ملابسه حتى اتصل بوالده وطلب منه بأن يقوم بإعداد شقته التي بجواره في منزلهم للسكن، فهو يعتزم الإنتقال قريباَ بإذن الله.

أنهى المكالمة وطلب من زوجته فنجانًا من القهوة.

لن يبتعد عن مكان عمله، بل على العكس.. سيشجعه ذلك على المضي قدمًا في البحث عن مكان جديد بجوار منزله الآخر يصلح لأن يكون متجراَ.

أتت (منال) بصينية القهوة المعهودة في غرفة النوم. تناول (فارس) القهوة قبل أن تضعها (منال) على المنضدة وأخذ رشفة أخذ في تذوقها جيدًا.

اندفع طعم البن الممزوج بالسكر من لسانه لكل عروق جسده.
فأرجع رأسه للوراء وأغمض عينيه في إنتشاء وتلذذ.
سألته زوجته وهي تجلس إلى جانبه:
- "إيه الأخبار؟ حلوة القهوة؟"
- "حلوة جدًا".
ثم مال ناحيتها وهو يقول:
- "بس تعرفي إن إنتي كمان حلوة أوي؟"

تمت بحمد الله

إسلام محمد عيسى - القاهرة
٦ محرم ١٤٣٤
١٠ نوفمبر ٢٠١٣

# الفهرس

Contents

**الكاتب في سطور**

**إسلام محمد عيسى**

**طبيب أسنان شاب، من مواليد القاهرة ١٩٨٠**

**صدر له مجموعة قصصية بعنوان "أيام الحب والغضب" عام ٢٠١١. إصدار دار ليلى**

صدر عن دار الفؤاد للنشر والتوزيع

| | | |
|---|---|---|
| خفقات دامعة | رواية | رباب فؤاد |
| أماليا | رواية | ميرفت البلتاجي |
| شقلب أحوالك | رواية | وليد نبيه |
| رسم قلب | نبضات أدبية | كتاب جماعي |
| خيانة واي فاي | رواية | سلافه الشرقاوي |
| فابريكا | ديوان شعر | عبده نافع |
| اديني عقلك الله وامشي حافي | مقالات ساخرة | محمد أبو جاد |
| جرعة نيكوتين | مجموعة قصصية | محمد طارق |
| تحوت..الإله المنتظر | رواية | كريم الشهاوي |